الحقُّ المبين في كشف شبهاتٍ من عقائد التجانيين
[الجزء الأوَّل]

الحمد لله وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أمَّا بعدُ:

ففي خضمِّ الصراع العقديِّ والفكريِّ الذي تعيشه الساحة الدعوية، وَرَدَ إلى الموقع انتقادٌ يستنكر فيه صاحبُه الكلامَ المنشور بالموقع في التحذير من عقيدة التجانيين، ويحتاج –في زعمه– إلى التراجع علنًا، والإصرارُ عليه خلاف الأمانة والصدق.

وهذا نصُّ الانتقاد:

«بعد قراءة الفتوى المنشورة في موقعكم بخصوص حكم الصلاة وراء إمامٍ يتلو الأورادَ التجانية عند الفراغ من الصلاة، تبيَّن لنا أنّ محتوى الفتوى افتراءٌ في حقِّ الطائفة التجانية وطعنٌ في مصداقيَّتها، فالمعلوم عنها أنّ أتباعها زهَّادٌ وَرِعون، يعظِّمون كتاب الله ويتلونه أفرادًا وجماعاتٍ، ليلاً ونهارًا، ويُولون حفظَه اهتماما كبيرًا، وهم أصحاب ذِكرٍ يلهجون بالاستغفار والصلاة على النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وينتسبون إلى الكتاب والسنَّة، فهما مصدر استدلالهم وعقائدِهم، ومؤسِّسُ الجماعة صاحبُ كراماتٍ مشهورةٍ ومعروفةٍ لدى القاصي والداني، كما يصرِّح به علماؤهم وخطباؤهم.

وما تضمَّنتْه الفتوى في حقِّ الجماعة مبالَغٌ فيه، والأمانة تقتضي العدولَ عمَّا صدر منكم، وإعلانَ ذلك عبر موقعكم، لأنّ الطعن في المؤمن محرَّمٌ لاسيَّما إذا كان المطعون فيه من أولياء الله، نسأل الله لكم الهداية والتوبة من تفريق المسلمين وتشتيت صفوفهم، والله المستعان».

الجواب:

نورد أوّلاً نصّ فتوى الشيخ أبي عبد المعزّ محمّد علي فركوس –حفظه الله– كاملةً ثمّ نعقبها بجوابٍ مفصّلٍ عن الانتقاد الوارد عليها:

في حكم الصلاة وراء إمامٍ يأتي بأورادٍ تيجانية

السؤال:

عندنا إمامٌ يأتي بأورادٍ تيجانية بعد صلاة العصر يوم الجمعة، ويأتي بصلاة الفاتح ظُهر الجمعة أيضًا، وليس لنا في الحيِّ الذي نسكن فيه مسجدٌ آخر نذهب إليه، والإخوة السلفيون قِلّةٌ ليست لهم كلمةٌ تُسْمَع، فهل تجوز الصلاة خلف هذا الإمام ؟

الجواب:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين، أمّا بعد:

فتختلف صحّة الصلاة وبطلانها باختلاف حكم الإمام، فإن كان يعتقد الطريقة التيجانية اعتقادًا تصوُّفيًّا شِركيًّا كطوافه بالضريح والدعاء إليه والذبح له والقيام بالحضرات والمدائح الشركية وغيرها من الأمور المنكرة فلا شكَّ أنّ الصلاة وراءه لا تصحُّ لأنّ هذه الصفاتِ تناقض التوحيد من كل وجهٍ[1]، أمّا إذا كان يذكر هذه الكلمات الشركية تقليدًا لا يدري معناها، ولم يلتزم الطريقة التي يلتزمها التيجانيُّون، ولا يحمل عقيدتهم، فالصلاة لنفسه تصحُّ وصلاة المأموم وراءه تصحُّ أيضًا، والواجب اتّجاهه: تقديم النصيحة له بالالتزام بالتوحيد الخالص وترك أعمال الجاهلية، والاستقامة على الدِّين، فإن أبى وظلّ متمسِّكًا بما هو عليه فلا يُصَلّى خلفه، ويسعى إلى الصلاة في مسجدٍ إمامه سُنّيٍّ تقام فيه الجماعة.

والعلمُ عند الله تعالى، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على نبيِّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين، وسلّم تسليمًا.

الجزائر في: شوّال ١٤٢٦هـ

الموافق ل: نوفمبر ٢٠٠٦م

فنقول وبالله التوفيق والسداد:

إنّ الذبَّ عن دين الله تعالى، وحفظَ جنابه، وصيانةَ حياضه ممّا يسوؤه، وتنقيتَه ممّا شابه من البدع والخرافات لمن أعظم القُربات، والقائم بذلك مرابطٌ على حدود الإسلام منافحٌ عنه، يرتقي بدفاعه عن الحقِّ إلى مدارج المجاهدين في ساحات الوغى الباذلين أعزَّ ما يملكون لتبقى كلمة الله –وهي التوحيد– عاليةً ورايتُه خفّاقةً. قال ابن القيّم –رحمه الله–: «وأمره الله تعالى بالجهاد من حين بعثه وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا. فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥١-٥٢]، فهذه سورةٌ مكّيّةٌ أمر فيها بجهاد الكفّار بالحجّة والبيان وتبليغ القرآن، وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجّة، وإلاّ فهُم تحت قهر أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، فجهادُ المنافقين أصعبُ من جهاد الكفّار، وهو جهاد خواصِّ الأمّة وورثة الرسل، والقائمون به أفرادٌ في العالَم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه –وإن كانوا هم الأقلّين عددًا– فهُم الأعظمون عند الله قدرًا»(٢).

ولله الحمد والمنّة حيث قيّض لهذه الأمّة صفوةً من خلقه فتح عليهم بالفقه في دينه وشرّفهم بفهم كلامه وكلام نبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم، فتعبّدوه –وحده سبحانه– ببيان البدع والخرافات والتحذير منها ومن الداعين إليها، وتلك من أسمى وظائفهم التي ورثوها عن الأنبياء والمرسلين الموصوفين في كتاب الله بأنهم مبشّرون مُنْذِرون.

وما تنقضي منهم طائفةٌ إلاّ ويُخْلف الله منهم مَن يسير سيرَهم وينهج نهجَهم، كما جاء في الحديث الحسن: «لاَ يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ»(٣)

وقيل لعبد الله بن المبارك –رحمه الله–: «هذه الأحاديث المصنوعة»؟ فقال: «يعيش لها الجهابذة»(٤).

وأمر هارون الرشيد بضرب عنق زنديقٍ، فقال له: «لِمَ تضرب عنقي؟» قال له: «أريح العباد منك»، قال: «فأين أنت من ألفِ حديثٍ وضعتُها على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كلُّها ما فيها حرفٌ نطق به؟»، فقال له الرشيد: «فأين أنت يا عدوَّ الله من أبي إسحاق الفزاريِّ وعبد الله بن المبارك ينخلانها نخلاً فيخرجانها حرفًا حرفًا»(٥).

وإنّ المسلم له حرمتُه، وعرضُه مصونٌ ما لم يتلبّس بما يزيل المانع ويصيّر الكلامَ فيه وبيانَ خطرِه وضررِه واجبًا شرعيًّا مستمَدًّا من نصوصٍ مستفيضةٍ في كتاب الله وسنّة نبيِّه صلّى الله عليه وآله وسلّم. قال النوويُّ –رحمه الله–: «اعلم أنّ الغيبة تُباح لغرضٍ صحيحٍ شرعيٍّ لا يمكن الوصول إليه إلاّ بها وهو ستّة أسبابٍ»(٦).

ثمّ شرع النوويُّ في شرحها إلى أن قال: «الرابع: تحذير المسلمين من الشرِّ ونصيحتهم، وذلك من وجوهٍ منها: جرحُ المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائزٌ بإجماع المسلمين بل واجبٌ للحاجة»(٧).

ولّما سلك أهلُ الإصلاح سبيلَ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وصحابته الكرام في ردِّ الاعتقادات الباطلة والتنفير منها؛ كان لزامًا أن يَلْقَوْا ما لقي سلفهم الصالح من الأذى والتُّهَم الباطلة، كما قال ورقة بن نوفلٍ للنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلاّ عُودِيَ»(٨)، ومن هذا القبيل قولُ المنتقد–هداه الله–: «إنّ الحذّر من البدع مفرِّقٌ للمسلمين»!! وهل الفُرقة إلاّ من أهل البدع والأهواء الذين غيّروا ما كان مُجْمَعًا عليه بين القرون المفضّلة، قال محمّد البشير الإبراهيمي –رحمه الله– «إنّنا علمْنا حقّ العلم –بعد التروّي والتثبُّت ودراسة أحوال الأمّة ومناشئ

أمراضها– أنّ هذه الطرق المبتدعة في الإسلام هي سبب تفرُّق المسلمين، لا يستطيع عاقلٌ سلم منها ولم يُبْتَلَ بأوهامها أن يكابر في هذا أو يدفعه، وعلمْنا أنها هي السبب الأكبر في ضلالهم في الدين والدنيا، ونعلم أنّ آثارها تختلف في القوّة والضعف اختلافًا يسيرًا باختلاف الأقطار، ونعلم أنها أظهر آثارًا وأعراضًا وأشنع صورًا ومظاهر في هذا القطر الجزائريِّ والأقطار المرتبطة به ارتباطَ الجوار القريب منها في غيره، لأنها في هذه الأقطار فروعٌ بعضُها من بعضٍ، ونعلم أنّنا حين نقاومها نقاوم كلّ شرٍّ، وأنّنا حين نقضي عليها –إن شاء الله– نقضي على كلِّ باطلٍ ومُنْكَرٍ وضلالٍ، ونعلم –زيادةً على ذلك– أنه لا يتمُّ في الأمّة الجزائرية إصلاحٌ في أيِّ فرعٍ من فروع الحياة مع وجود هذه الطرقية المشؤومة، ومع ما لها من سلطانٍ على الأرواح والأبدان، ومع ما فيها من إفسادٍ للعقول وقتلٍ للمواهب»[٩].

هذا، وإنّ ما ورد في فتوى الشيخ أبي عبد المعزِّ محمّد علي فركوس –حفظه الله– السالفة، ليس فيها أدنى افتراءٍ أو تقوُّلٍ، وما ذكره –حفظه الله– عن التجانيين غير مبالَغٍ فيه كما زعم المعترض المنتقد، بل هو غيضٌ من فيضٍ، وقطرةٌ من بحرِ الانحرافات التي يموج فيها القوم.

وحتّى يطلِّع القارئ النبيه على أنّ ما احتواه الانتقاد من وصف التجاني بأنه صاحب كرامات، وأتباعه بأوصاف الصلاح وتعظيم كتاب الله، وأنهم يستمدُّون عقيدتهم منه ومن سنّة نبيِّه صلّى الله عليه وآله وسلّم، ليطلّع القارئ على عدم مطابقة الدعوى لحقيقة الجماعة، وأنهم –وإن كان ظاهرهم ما يدّعون– إلاّ أنهم بعيدون كلّ البعد عن دعواهم، فإنّ إدارة الموقع تضع بين يدي القارئ النبيه بحثًا عن أهمِّ أصول وعقائد التجانيّين[١٠] موثّقةً من كتبهم ومصادرهم المعتمدة، مع عرضٍ لأهمِّ الشبهات التي يستندون إليها وتفنيدها بصريح القرآن وصحيح السنّة لينتفع به أهل الحقِّ، ويسترشد به من لا يزال في قلبه ريبةٌ أو شكٌّ، بأسلوبٍ بعيدٍ عن السبِّ والشتم، امتثالاً لقول ربِّ العالمين لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام حين أرسلهما إلى فرعون الذي ادّعى الربوبية: ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلّهُ يَتَذَكّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤].

قال ابن باديس –رحمه الله–: «وينبغي إذا دارت المباحثة بين الكتّاب أن تكون في دائرة الموضوع، وفي حدود الأدب، وبروح الإنصاف، وخيرٌ أن تقيم الدليلَ على ضلال خصمك أو على غلطه أو على جهله، من أن تقول له: «يا ضالٌ»، أو «يا جاهل»، أو «يا غالط»، فبالأوّل تحجُّه فيعترف لك، أو يكفيك اعتراف قُرَّائك، وبالثاني تهيّجه فيعاند، ويضيعُ ما قد يكون معك من حقٍّ بما فاتك معه من أدبٍ»(١١)، سائلين الله العون والتوفيق والسداد في القول والعمل.

وقد جاء البحث منتظمًا في المحاور التالية:

- **مدخل:**

– ترجمة التجاني.

– نشأة الطريقة التجانية وعوامل انتشارها.

– أشهر الكتب المؤلّفة في الطريقة التجانية.

- **عقائد التجانية:**

- **الفصل الأوّل: عقيدتهم في الله تعالى.**

– وحدة الوجود عند التجانية.

– إيمانهم بحصول العلم اللدني لمشايخهم بالترقّي في الطريقة.

– إيمانهم بأنّ مشايخهم يعلمون الغيب.

- **الفصل الثاني: عقيدة التجانيين في صلاة الفاتح.**

- **الفصل الثالث: عقيدتهم في النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.**

– اعتقادهم رؤية النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم يقظةً.

– اعتقادهم بأنّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كتم شيئًا من الوحي.

– إيمانهم بجواز التوسُّل بذات النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم.

– غلوُّهم في حقِّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

• **الفصل الرابع: عقيدة التجانيين في اليوم الآخر.**

– اعتقادهم أنّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ضَمِنَ للتجاني وأتباعه الجنّة.

– اعتقادهم أنّ التجانيّ ضَمِنَ الجنّة لمن رآه.

• **الفصل الخامس: الأدعية والأذكار عند التجانيين.**

• **خلاصة عقائد التجانيين.**

ترجمة التجاني(١٢):

هو أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن المختار بن أحمد بن محمّد بن سالمٍ التجاني، نسبةً إلى «بني توجين» أصحاب «تاهرت» و«تاكدمت» من البربر، إخوان بني زيان ملوك تلمسان وبني مرينٍ ملوك المغرب الأقصى، وبنو توجين هم أخوال أحمد التجاني، ولّما طال مقامه بينهم نُسب إليهم.

وُلد سنة (١١٥٠هـ–١٧٣٧م) ب «عين ماضي» مدينةٍ من مدن صحراء الجزائر، وفيها نشأ وترعرع، ويقال: إنه حفظ القرآن وعمره سبعة أعوامٍ على يد الشيخ محمّد التجاني، ثمّ اشتغل بعد ذلك بطلب العلوم الشرعية والأدبية، فقرأ «مختصر خليل» و«الرسالة» و«مقدِّمة ابن رشد» و«الأخضري» على الشيخ المبروك بن بعافية المضاوي التجاني.

وفي سنة (١١٧١هـ) ارتحل إلى ناحية فاس وسمع فيها شيئًا من الحديث، وأوّل من لقيه فيها الطيِّب بن محمَّد اليملحي، وقد أخذ منه طريقته وأذن له في تلقين وِرْده، كما لقي فيها مجموعةً من مشايخ الصوفية وأخذ طرقهم، ثمّ انتقل من المغرب إلى جهة الصحراء قاصدًا زاوية عبد القادر بن محمَّد الأبيض فأقام بها مُدّةً ثمّ انتقل منها إلى تلمسان، ومنها قصد بيت الله الحرام، ثمّ انتقل إلى تونس ودخلها سنة (١١٨٦هـ)، وأقام بها سنةً كاملةً بعضُها بمدينة «سوسة» وبعضها بمدينة «تونس»، درس فيها كتاب «الحكم العطائية» المحتوي على أنواعٍ من السلوك كالإخلاص والعزلة والزهد والمحبّة والرضا، ثمّ سافر إلى القاهرة، وفي شوّالٍ سنة (١١٨٧هـ) وصل إلى مكّة، ولّما أكمل حَجّه توجّه إلى المدينة، ثمّ رجع إلى بلده.

توفِّي يوم الخميس السابع عشر من شوّالٍ سنة (١٢٣٠هـ-١٨١٥م) وقد بلغ ثمانين سنةً.

نشأة الطريقة التجانية وعوامل انتشارها

سبق في ترجمة أحمد التجاني أنه التقى عددًا من مشايخ الصوفية وأخذ عنهم عدّة طرقٍ، لكنّه لم يلبث أن تركها جميعًا وبدا له أن ينشئ طريقةً جديدةً يستقلُّ بها عمَّن سبقه، فكان ذلك ما حصل سنة (١١٩٦هـ).

قال في «جوهر المعاني»[١٣]: «ثمّ رجع إلى قرية أبي سمغون وأقام بها واستوطن، وفيها وقع له الفتح وأذن له صلّى الله عليه وآله وسلّم في تلقين الخلق، وعيَّن له الورد الذي يلقّنه في سنة (١١٩٦هـ)، وعيَّن له صلّى الله عليه وآله وسلّم الاستغفار والصلاة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم»، ومن هذا النقل يتّضح أنّ نشأة الطريقة التجانية إنما كانت بناءً على ما ادّعاه أحمد التجاني من أنه رأى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم يقظةً وخاطبه ولَقّنه الوِرد التجاني، فقد صارت «فاس» المركز الأوّل لهذه الطريقة، ومنها انتشرت الطريقة على يد الأتباع حتّى شملت الجزء الأكبر من غرب إفريقيا وشمالها.

وترجع أهمُّ أسباب انتشار الطريقة التجانية إلى ما يلي:

١- تدهور الحالة الأمنية لعصر نشأة الطريقة، حيث تكالبت دول أوربا على الدولة العثمانية الحاكمة للجزائر آنذاك، وكثرت الثورات الداخلية ضِدَّها نتيجةَ سوءٍ في الإدارة السياسية والأحوال المعيشية نهايةَ حكم الأتراك، ممّا أورث ضَعفًا في الحركة العلمية، اقتصر على بعض الدروس لتعليم القرآن الكريم وبعض شروح الكتب الفقهية، وغلب التقليد الأعمى والتعصُّب المَقيت، وفشا الجهل وعمَّت الخرافة وهما عاملان مساعدان على البدع والمحدثات.

٢- مساندة الاستعمار الفرنسي للطرق الصوفية، يقول روم لاندو في كتابه «تاريخ المغرب في القرن العشرين»[١٤]: «وقد خَبِر الفرنسيون قضيَّة الطرق الصوفية والدور الذي تلعبه مرَّاتٍ متعدّدةً من قبل، وثَمَّة وثيقتان قَلّما يعرفهما الناس تزودِّنا بالمعلومات الطريفة: أولاهما رسالةٌ بعث بها قبل قرنٍ من الزمن المارشال بوجو أوَّل حاكمٍ للجزائر إلى شيخ التجانية ذات النفوذ الواسع، إذ لولا موقفها المُشْبَع بالعطف لكان استقرار الفرنسيين في البلاد المفتتحة حديثًا أصعب بكثيرٍ ممّا كان».

٣- إقبال الناس عليها لكثرة ما فيها من الثواب المزعوم وضمان الجنّة بأيسر الأسباب، خصوصًا عند أناسٍ لا يفقهون من الدِّين إلاّ الشيء اليسير، وعلى سبيل المثال نسوق ما ذكره التجانيون في فضل وردهم: «إنّ من جملة ما ذكره سيِّدنا رضي الله عنه من فضل هذا الورد العظيم عن نبيِّنا المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، أنّ كُلّ من أخذه عن الشيخ أو عَمَّن عنده الإذن الصحيح في التلقين، يكون مقامه ومستقرُّه من فضل الله تعالى في أعلى عليِّين بجوار سيِّد المرسلين وإمام المتّقين صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه أجمعين، ويغفر الله له تعالى بفضله من ذنوبه الكبار والصغائر، وتؤدّى عنه التبعات من خزائن الربِّ المجيد القادر، ولذلك كان آمنًا من أن يُروِّعه هول المحشر، أو يؤلمه ضنك القبر، وأزواجه وأولاده المنفصلون عنه دنيةً،

وكذا أبواه داخلون معه في هذا الخير الجزيل، بشرط ألاّ يصدر بغضٌ من الجميع في هذا الشيخ الجليل وجانبه الأعزِّ المنيع»[١٥].

أبرز آثار أبي العبّاس التجاني وأشهر الكتب المؤلّفة في طريقته التجانية

يأتي في المقام الأوّل فيما خلّفه من آثارٍ لمن بعده زاويته التجانية في «فاس»، ومن أشهر الكتب المؤلّفة في الطريقة التجانية ما يلي:

١- «جواهر المعاني»: وهو أهمُّ كتابٍ في الطريق والمرجع الأساسيُّ لهم، حتّى إنهم يزعمون أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال فيه: «كتابي هذا وأنا ألّفتُه»[١٦]، واسمه الكامل: «جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيّدي أبي العبّاس التجاني» جمعه علي حرازم، وقرأه على شيخه أحمد التجاني فأجازه في سائر ما فيه.

وقد ذكر عبد الحيِّ الكتّاني شيخ الطريقة الكتّانية أنّ الجزء الأوّل من كتاب «جواهر المعاني» المؤلّف سنة (١٢١٣هـ) منقولٌ عن كتاب «المقصد الأحمد» المؤلّف سنة (١٠٩٤هـ)، وأنّ التجاني نقله عن هذا الكتاب ونسبه لنفسه، ولقد كان اكتشاف هذا الكتاب قاصمة الظهر للتجانيين.

٢- «رماح الحزب الرحيم على نحور حزب الرجيم» لمؤلِّفه: عمر بن سعيدٍ الفوتي الطوري الكدوي، كتبه سنة (١٢٦١هـ)، وقد قال فيه بعض التجانيين: «إنّ «الرماح» في هذه الطريقة مثل «المدوّنة» في المذهب»[١٧].

٣- «الجامع لِما افترق من العلوم الفائضة من القطب المكتوم» لمؤلِّفه: محمّد بن المشري، أحد كبار تلامذة التجاني، وقد اشتمل الكتاب على جُلِّ ما اشتمل عليه «جواهر المعاني» إلاّ أنه زاد فيه بعض المسائل، لطول اجتماعه بشيخه بعد وفاة علي

حرازم، وأفرد أحمد سكيرج ما انفرد به هذا الكتاب عن «الجواهر» في كتابٍ سمّاه ب «السرِّ الباهر فيما انفرد به الجامع عن الجواهر».

٤- «الإفادة الأحمدية» لمؤلِّفه: الحاجِّ الطيِّب السفياني، وقد جمع فيه المؤلِّف ما سمعه بنفسه من الشيخ التجاني مشافهةً أو بلغه على لسان من سمعه منه، ورتَّبه على حروف المعجم، واختصره أحمد سكيرج في «كشف الحجاب» وجعل عليه شرحًا سمّاه ب «الإجادة على الإفادة».

٥- «بغية المستفيد شرح منية المريد» لمؤلِّفه: محمَّد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، و«منية المريد» من نظم: أحمد التجاني ابن بابا الشنقيطي العلوي.

٦- «الدرَّة الخريدة على الياقوتة الفريدة» لمؤلِّفه: محمَّد فتحا بن عبد الواحد السوسي النظيفي، وهو شرحٌ لمنظومةٍ في الطريقة التجانية اسمها «الياقوتة الفريدة».

تلكم هي أهمُّ الكتب التي ألّفها أصحابها عن الطريقة التجانية وأُسُسها وعقائدها.

عقائد التجانية

الفصل الأوَّل: عقيدتهم في الله تعالى

في كتب التجانية ومصادرهم نصوصٌ تثبت عقائد منحرفةً وزائغةً عن الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن تصديق أنّ هذه الطائفة التي تَدَّعي الصلاح والزهد تؤمن بعقائد كفريَّةٍ إلاّ بعد الاطِّلاع على ما دَوَّنه علماؤهم وكبراؤهم في مؤلّفاتهم.

وحدة الوجود عند التجانية:

تلك العقيدة التي لا يُقِرُّها عقلٌ ولا فطرةٌ فضلاً عن دين الله الحقِّ، يؤمن بها التجانيون ويصرِّحون بها، وإن كان الإنصاف يحملنا على أن نصرِّح بأنّ التجانيِّين حيالَ عقيدة وحدة الوجود على ثلاثة أقسامٍ:

– قسمٌ يؤمنون بها ويدافعون عنها وهم أكثر مشايخ التجانية المتقدِّمين.

– قسمٌ ينكرونها ويكفِّرون قائلها –كما يقولون– وهم بعض المتأخِّرين منهم.

– قسمٌ ثالثٌ هم غالب العامَّة الذين يقفون مع مشايخهم موقفَ: «اعتقد ولا تنتقد»، فهُم جَهَلَةٌ مقلِّدون.

قال علي بن محمَّد آل الدخيل: «وقد سألتُ الدكتور الهلالي[١٨] الذي ظلّ تجانيًّا مُدَّةَ تسع سنواتٍ: هل هذه العقيدة تُعَلَّم للأتباع أم هي للخاصَّة دون العامَّة؟ فأجاب بأنّ هذه العقيدة لا يؤمن بها إلاّ خواصُّ التجانيِّين»[١٩].

وهذه بعض النصوص الدالّة على انتحال التجانية لعقيدة وحدة الوجود:

قال في «جواهر المعاني»[٢٠]: «..اعلم أنّ أذواق العارفين في ذوات الوجود أنهم يرون أعيان الموجودات كسراب بقيعة، **فما في ذوات الوجود كلِّه إلاّ الله سبحانه وتعالى تجلّى بصورها وأسمائها**، وما ثَمَّ إلاَّ أسماؤه وصفاته، فظاهر الوجود وصور الموجودات وأسماؤها ظاهرةٌ بصورة الغير والغيرية، وهي مقام أصحاب الحُجُب الذين حُجبوا بظاهر الموجودات عن مطالعة الحقِّ فيها».

وقال أيضًا: «**فكلُّ عابدٍ أو ساجدٍ لغير الله في الظاهر فما عبد ولا سجد إلاّ لله تعالى، لأنه هو المتجلِّي في تلك الألباس**، وتلك المعبودات كلُّها تسجد لله تعالى، وتعبده وتسبِّحه خائفةً من سطوة جلاله سبحانه وتعالى، ولو أنَّها برزت لعبادة الخلق وبرزت لها بدون **تجلِّيه فيها** لتحطَّمت في أسرعَ من طرفة العين لغيرته تعالى لنسبة الألوهية إلى غيره، قال سبحانه وتعالى لكليمه موسى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [طه:١٤]، والإله في اللغة هو المعبود بالحقِّ، وقوله: ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾ يعني: **لا معبود غيري وإن عَبد الأوثان من عبدها فما عَبَد غيري**، ولا توجَّهوا بالخضوع والتذلُّل لغيري..»[٢١].

وقال في «ميدان الفضل والإفضال»: «..وأنّ هذا الاعتقاد ليس هو اعتقاد القائل بوحدة الوجود؛ لأنّ ذلك اعتقادٌ صحيحٌ شرعًا يقبله العقل السليم بالوهب الإلهي والفيض الرحماني وإن لم يدركه بالنظر الفكري..»[٢٢].

التعليق:

إنّ حكاية هذه الأقوال تغني عن رَدِّها وتفنيد أدلّتها، ذلك لأنّ القرآن صريحٌ في أنّ الله تعالى بائنٌ من خلقه لا يشبهه شيءٌ من مخلوقاته، متّصفٌ بصفات الكمال، منزّهٌ عن النقائص والعيوب، ولقد كَفّر الله النصارى القائلين بأنّ الله حَلّ واتّحدَ بعيسى عليه السلام، ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]، فكيف بمن يعتقد أنّ الله مُتّحدٌ بجميع مخلوقاته، وأنّ ما في الكون إلاّ الله، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيرًا.

إيمانهم بحصول العلم اللدنيِّ لمشايخهم بالترقّي في الطريقة:

إنّ ممّا ابتُلي به الصوفيّة عمومًا، والتجانية خصوصًا دعوى مريدي مشايخهم لأشياخهم أنهم –برياضة نفوسهم على أورادهم وسلوكهم– يترقّوْن في الطريق فتحصل لهم معرفةٌ بالأحكام الشرعية تعلُّما بلا واسطةٍ يسمُّونه علمًا لَدُنيًّا وإلهامًا وكشفًا ربّانيًّا يوفّقون به لمعرفة الحكم الشرعيّ من غير مكابدة الطلب، ولا تلقٍّ بمطالعة الكتب أو مزاحمة العلماء بالرُّكَب، ولا استخدامٍ للقواعد والأصول، كأنما كُشف لهم عن مخدّرات العلم ومخبّآته الحجابُ، ولسان حالهم يقول: إنّ من اتّقى اللهَ علّمه الله، عملاً بقوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فجعلوا طريق معرفة الأحكام الشرعية مبناها على الاستحسان والمواجيد والأذواق والخواطر النفسية للشيخ المتبحِّر في طريقتهم.

جاء في «الدرّة الخريدة»: «إنّ العبد إذا دخل في طريق القوم وتبحّر فيه أعطاه الله عزّ وجلّ هناك قوّة الاستنباط نظيرَ الأحكام الإلهية الظاهرة على حدٍّ سواءٍ، فيستنبط في

الطريق واجباتٍ ومندوباتٍ وآدابًا ومحرّماتٍ ومكروهاتٍ وخلافَ الأَوْلى نظير ما فعله المجتهدون..»[٢٣].

التعليق:

هذا الكلام –في حقيقته– ينبئ عن صفة ذميمة هي «كذب الحال»، وقد قال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ»[٢٤]، فقد جمع فيه أصحاب الطريقة بين ادّعاء العلم وادّعاء الأفضلية على العلماء، حيث زعموا أنه يحصل لهم ما يحصل للعلماء دون واسطةٍ أو كدٍّ أو طلبٍ، فقد جاء التحديد النبويُّ لطريق العلم الشرعي محصورًا بالتعلُّم، فلا سبيل للحصول عليه والوصول إليه إلاّ بالتعلُّم الذي يقتضي بَذْلَ الجهد في طلبه وتحصيله، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَه»[٢٥]، ثمّ إنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم جعل طلب العلم فريضةً على كلِّ مسلمٍ يسعى إليه ويسلكه لتحصيله، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[٢٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ»[٢٧].

أمّا الآية في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾، فإنّ الواو ليست عاطفةً وإنما هي للاستئناف كما ذكر ابن جريرٍ الطبري، وإن سلّمْنا –جدلاً– أنها للعطف فإنّ معناها أنّ من اتّقى الله وطلب العلم النافع أورثه الله فَهْمًا يَعرف به الحقَّ والباطل[٢٨]، فبالعلم تحصل التقوى فهو سابقٌ عليها، فالتقوى ثمرة العلم النافع والعمل الصالح، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، غير أنّ التيجانيّين جعلوا الأمر معكوسًا، فصار العلم –عندهم– ثمرةً للتقوى، ناهيك عن نوع تقواهم التي جعلوها مسلكًا لهم.

والمتأمِّل في هذا الكلام يلمس أنّ حقيقته اعتماد المواجيد والأذواق والخواطر من غير وزنها بميزان الشرع، فجعلوها أصلاً سابقًا لِما سواه، وقدّموها على الشرعيات حالَ التعارض.

قال ابن تيمية –رحمه الله–: «فالمتكلِّمة جعلوا بإزاء الشرعيّات العقليات أو الكلاميات، والمتصوِّفة جعلوا بإزائها الذوقيات والحقائق، والمتفلسفة جعلوا بإزاء الشريعة الفلسفة، والملوك جعلوا بإزاء الشريعة السياسة، وأمّا الفقهاء والعامّة فيخرجون عمّا هو عندهم الشريعةُ إلى بعض هذه الأمور، أو يجعلون بإزائها العادة أو المذهب أو الرأي. والتحقيق: أنّ الشريعة التي بعث الله بها محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم جامعةٌ لمصالح الدنيا والآخرة، وهذه الأشياء ما خالف الشريعة منها فهو باطلٌ وما وافقها منها فهو حقٌّ»[٢٩].

فالمكاشَف الحقُّ من يَزِنُ مكاشفاته بالكتاب والسنّة، إذ لا عصمة للمكاشفات والخطابات ونحوها من الأحوال ولا دليل يدلُّ عليها، وغير المعصوم لا ثِقَةَ بخواطره لأنه لا يأمن وسوسة الشيطان[٣٠].

وحسْبُنا من ذلك أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الذي كان ملهمًا بالصواب وينطق الحقُّ على لسانه، وأهل المكاشفات والمحادثات والإلهامات من هذه الأمّة هم دون عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ببونٍ شاسعٍ، مع ذلك كان رضي الله عنه يحتاج إلى عرض ما قُذف في قلبه وانقدح في خاطره على الكتاب والسنّة، فما وافقهما قبلَه وما خالفهما ردّه، ولذلك كان يعارضه الصحابةُ رضي الله عنهم ولا يحتجُّ عليهم بما أُلقي في نفسه من إلهامٍ، أو يقابل اعتراضهم بكونه محدَّثًا، ولا أدلّ على ذلك ممّا وقع منه في الحديبية وعند وفاة النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، قال ابن تيمية –رحمه الله–: «فإنّ مرتبة الصدّيق فوق مرتبة المحدَّث، لأنّ الصدّيق يتلقّى عن الرسول المعصوم كلّ ما يقوله ويفعله، والمحدَّث يأخذ عن قلبه أشياء، وقلبُه ليس بمعصومٍ فيحتاج أن يعرضه على ما جاء به النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يشاور الصحابة رضي الله

عنهم ويناظرهم ويرجع إليهم في بعض الأمور وينازعونه في أشياء، فيحتجُّ عليهم ويحتجُّون عليه بالكتاب والسنّة ويقرِّرهم على منازعته ولا يقول لهم: أنا محدَّثٌ مُلْهَمٌ مخاطَبٌ فينبغي لكم أن تقبلوا منّي ولا تعارضوني، فأيُّ أحدٍ ادَّعى أو ادَّعى له أصحابه أنه وليٌّ لله وأنه مخاطَبٌ يجب على أتباعه أن يقبلوا منه كلّ ما يقوله ولا يعارضوه ويسلِّموا له حالَه من غير اعتبارٍ بالكتاب والسنّة فهو وهُمْ مخطئون، ومثل هذا من أضلِّ الناس»[٣١].

أمّا الاستحسان المجرّد عن الأدلّة الشرعية فلا يُلتفت إليه فضلاً عن جعله مرجعًا وأصلاً تُبنى عليه العقائد والأحكام، إذ الناس متفاوتون في أذواقهم كتفاوُتهم في عقولهم وإدراكاتهم، فما يستحسنه أحدهم قد يستقبحه آخر، فإن لم يرجعوا إلى الكتاب والسنّة في استحسانهم ضاع الدين بين أهوائهم وأذواقهم، وقد تجتمع كلمة طائفةٍ منهم على استحسان ما استقبحه الشرع وأجمعت الأمّة على ردِّه، أو استقباح ما استحسنه الشرع، وذلك هو الضلال الذي ما بعده ضلالٌ.

قال ابن تيمية: «..فإنّ مجرّد الاستحسان بالذوق والوجدان إن لم يشهد له الكتاب والسنّة وإلاّ كان ضلالاً»[٣٢].

وسرُّ ذلك أنّ الاستحسان الذي لا يشهد له الشرع ذريعةٌ إلى التشريع من دون الله، ولذلك قال الشافعي –رحمه الله–: «من استحسن فقد شرع»[٣٣]، ومن المعلوم أنّ الأُمّة قاطبةً متّفقةٌ على أنّ الله سبحانه مُتفرِّدٌ بالتشريع، وهو من خصائص ربوبيته لا ينازعه في ذلك أحدٌ، كما جاء صريحًا في نصوصٍ كثيرةٍ منها: قوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، فلا حلال إلاّ ما أحلّه الله ولا حرام إلاّ ما حرّمه.

وإنّ العبد مهما بلغ عبادةً وصلاحًا وتقوى فإنه لا يشارك الله في تشريعٍ لا في أمرٍ ولا نهيٍ، وليس لأحدٍ من العباد أن يقول: «هذا سُنّةٌ وهذا واجبٌ» لشيءٍ لم يَرِدْ فيه دليلٌ

من شرع الله، وإن فعل ذلك فقد نازع اللهَ في حقِّ الحاكمية وهو حقٌّ من حقوقه تعالى لا يجوز إلاّ له، ومن فعل ذلك فقد أشبه النصارى الذين اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

ففي سنن الترمذي عن عديِّ بن حاتمٍ رضي الله عنه قال: «أتيت النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم وفي عنقي صليبٌ من ذهبٍ، فقال: «مَا هَذَا يَا عَدِيُّ؟ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ»، وسمعته يقرأ في «سورة براءة»: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ قال: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»»[٣٤].

فالله وحده هو الذي يحرِّم ويحلِّل وما أحلّه فهو الحلال وما حرّمه فهو الحرام، وليس لأحدٍ مهما سما وبلغ أيُّ حقٍّ في التشريع، فالاعتماد على الكشف والإلهام ونحو ذلك من الأحوال بمعزلٍ عن الشرع هو من أصول الإلحاد، ومن اعتقد أنّ للشيخ القدرة على تشريع أحكامٍ تضاهي الأحكام الإلهية فقد ضلّ ضلالاً بعيدًا.

قال الشنقيطي –رحمه الله–: «وبالجملة، فلا يخفى على من له إلمامٌ بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تُعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يُتقرَّب إليه به من فعلٍ وتركٍ إلاّ عن طريق الوحي، فمن ادَّعى أنه غنيٌّ في الوصول إلى ما يرضي ربَّه عن الرسل وما جاءوا به ولو في مسألةٍ واحدةٍ فلا شكَّ في زندقته، والآيات والأحاديث الدالّة على هذا لا تُحصى»[٣٥]

إيمانهم بأنّ مشايخهم يعلمون الغيب:

قال في «جواهر المعاني»: «ومن كماله رضي الله عنه[٣٦] ونفوذ بصيرته الربّانية وفراسته النورانية التي ظهر مقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها من إظهار

مضمراتٍ، وإخبارٍ بمغيباتٍ، وعلمٍ بعواقب الحاجات، وما يترتّب عليها من المصالح والآفات، وغير ذلك من الأمور الواقعات»[٣٧].

وقال في «رماح حزب الرحيم»: «وينبغي على المريد أن يعتقد في شيخه أنه يرى أحواله كلّها كما يرى الأشياء في الزجاجة»[٣٨].

وقال محمّد العربي السائح الشرقي: «ومن إخباره بالغيب عن طريق كشفه رضي الله عنه إخبارُه بأمورٍ لم تقع إلاّ بعد وفاته إمّا بالتصريح أو بالتلويح»[٣٩].

تفنيد شبهة التجانيين:

استند التجانيون لإثبات معرفة شيوخهم الغيبَ والأشياءَ المستقبلية التي لم تقع بعدُ إلى شبهةٍ واهيةٍ لخّصها محمّد فتحا بقوله: «قلت: لا مانع من كونه تعالى يُطلع على غيبه بعض أصفيائه كما قال تعالى: ﴿فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجنّ: ٢٧]، يعني: «أو وليٍّ» كما قال بعض العارفين، والصحيح أنه لم يُنقل من هذه الدار حتّى أطلعه الله على مفاتح الغيب، فلتكن بعض خواصٌّ أمّته كذلك بطريق الوراثة المحمّدية..»[٤٠].

الجواب:

جواب هذا الإيراد أنّ الاطّلاع على الغيب من خصوصيات الله سبحانه وتعالى، جاء ذلك صريحًا في أكثر من آية في كتاب الله عزّ وجلّ منها: قوله تعالى: ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لله فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس: ٢٠]، وقوله: ﴿وَلله غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله: ﴿قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاّ اللهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وغيرها من الآيات المصرّحة بحصر علم الغيب بالله وحده ونفيه عَمَّن سواه، فلا يعلم الغيب ملكٌ مُقرّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ إلاّ من أطلعهم الله عليه.

وأمّا إلحاق الوليّ بالرسول كما ادّعاه التجاني فإلحاقٌ مع ظهور الفارق؛ ذلك لأنّ الله يُطلع رسله على الأمور الغيبية عن طريق الوحي الذي يستحيل في حقِّ الوليِّ.

قال القرطبي المالكي: «فالله تعالى عنده علم الغيب وبيده الطرق الموصلة إليه لا يملكها إلاّ هو، فمن شاء إطلاعه عليها أَطْلَعه، ومن شاء حجْبَه عنها حَجَبَه، ولا يكون ذلك من إفاضته إلاّ على رسله بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[آل عمران: ١٧٩] وقال: ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧]»[٤١].

وأمّا قوله: «والصحيح أنه لم يُنقل من هذه الدار حتّى أطلعه الله على مفاتح الغيب، فلتكن بعض خواصِّ أُمّته كذلك بطريق الوراثة المحمّدية» فلا نسلّم أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أُطلع على مفاتح الغيب لقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فالآية صريحةٌ في أنّ الله اختصَّ نفسه بمفاتح الغيب ولم يُطلع عليها أحدًا من خلقه، وفي الحديث: «مَفَاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللهُ: لاَ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِي المطَرُ أَحَدٌ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَاعَةُ إِلاَّ اللهُ»[٤٢]، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «أُعطِي نبيُّكم كلّ شيءٍ إلاّ مفاتح الغيب»[٤٣]، وإذا كانت المقدّمة غير سليمةٍ فما بُني عليها فمثلها لأنّ «مَا بُنِيَ عَلَى فَاسِدٍ فَفَاسِدٌ».

الفصل الثاني: عقيدة التجانيين في صلاة الفاتح:

«القرآن كلام الله نزل به جبريل عليه السلام على محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم بلسانٍ عربيٍّ مبينٍ، المتعبّد بتلاوته، منه بدأ وإليه ويعود، ليس بمخلوقٍ ولا يشبه كلام المخلوقين، وفضلُ القرآن على غيره من سائر الكلام كفضل الله على خلقه»، هذا هو المعتقد الذي كان عليه صحابة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وأجمع عليه أهل القرون المفضّلة، بينما للتجانيين في كلام الله معتقَدٌ مباينٌ لما عليه الحقُّ، فقد هَوَّنوا من القرآن وجعلوا لكلام شيخهم مرتبةً تفوق مرتبة كلام الله، وأعطوا قارئ وِرْدهم من الفضل

ما لم ينله حافظ القرآن، حيث يعتقد كثيرٌ من التجانيين بأنّ «صلاة الفاتح لِما أُغلق»[٤٤] أفضل من القرآن الكريم، وأنها من كلام الله.

جاء في جواهر المعاني: «..ثمّ أمرني بالرجوع صلّى الله عليه وسلّم إلى صلاة «الفاتح لِما أُغلق»، فلمّا أمرني بالرجوع إليها سألتُه صلّى الله عليه وسلّم عن فضلها، فأخبرني أوّلاً بأنّ المرّة الواحدة منها تعدل من القرآن ستّ مرات، ثمّ أخبرني ثانيًا أنّ المرّة الواحدة منها تعدل من كلِّ تسبيحٍ وقع في الكون ومن كلِّ ذكرٍ ومن كلِّ دعاءٍ كبيرٍ أو صغيرٍ ومن القرآن ستّة آلاف مرّةٍ لأنه من الأذكار»[٤٥].

وقال مؤلّف «الدرّة الخريدة»: «..واعتقاد المصلّي بها أنها في صحيفةٍ من نورٍ أُنزلت بأقلام قدرةٍ إلهيةٍ وليست من تأليف زيدٍ ولا عمرٍو، بل هي من كلامه سبحانه، وأنها لم تكن من تأليف البكري، وفي «جع»[٤٦]: والفضل الذي فيها لا يحصل إلاّ بشرطين: الأوّل: الإذن، الثاني: أن يعتقد الذاكر أنّ هذه الصلاة من كلام الله تعالى كالأحاديث القدسية وليست من تأليف مؤلِّفٍ»[٤٧].

التعليق:

– تفضيل التجانيّين صلاة الفاتح على القرآن من أبشع منكراتهم، وأقبح مساوئهم، فكيف يُعقل أن يكون كلامٌ لم يُرْوَ في كتابٍ من كتب الحديث ولا سندَ له ولو ضعيف، يساوي كلام من لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، سبحانك هذا بهتان عظيم!! وقد قال الله تعالى في محكم تَنْزيله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فمجرّد الإتيان بمثل كلام الله من المستحيلات، فكيف بالإتيان بما هو أفضل منه بمرّاتٍ!!

– هذا الاعتقاد المدوّن في كتب القوم ومراجعهم –ولو حاولوا تأويله– صدٌّ عن كتاب الله تلاوةً وتدبُّرًا، فعملاً وتحاكمًا، فإنّ من يعتقد أنّ صلاة الفاتح التي لا تتجاوز

ثلاثة أسطرٍ تعدل ستّة آلاف ختمة من القرآن سينصرف –لا محالة– عنه إلى كلماتٍ لا تتطلّب منه وقتًا وجُهدًا، فيكون مستحقًّا للذمّ الوارد في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

– ادّعاء التجاني أنه تلقّى صلاة الفاتح من النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقظةً بعد الالتقاء به لقاءً حسِّيًّا ماديًّا: شطحةٌ صوفيةٌ سيأتي الردُّ عليها في بابها إن شاء الله.

وما يزيدها قبحًا وشناعةً اعتقاد التجانيّين أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم خصَّ زعيمهم بفضل الورد المزعوم، قال: «ومن أخذ عنّي الورد المعلوم الذي هو لازمٌ للطريقة، أو عمّن أذنته يدخل الجنّة هو ووالداه وأزواجه، وذرِّيّاته المنفصلة عنه لا الحفدة بلا حسابٍ ولا عقاب، بشرط أن لا يصدر منهم سبٌّ ولا بغضٌ ولا عداوةٌ وبدوام محبّة الشيخ بلا انقطاعٍ إلى الممات، وكذلك مداومة الورد إلى الممات»[٤٨].

وقال: «فلمّا تأمّلتُ هذه الصلاة وجدتُها لا تزنها عبادة جميع الجنّ والإنس والملائكة»[٤٩].

– إذا كانت هذه الصلاة من كلام الله فكيف يصحُّ للتجاني أن يزيد فيها لفظ «سيّدنا» ويزعم أنّ الله يقول: «اللهمّ صلِّ على سيّدنا محمّد..» أفلا يدري أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم ليس سيّدًا لله بل الله هو السيّد، فعن مطرّف بن عبد الله بن الشخّير يحدّث عن أبيه قال: «جاء رجلٌ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: أنت سيّد قريشٍ، فقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «السَّيِّدُ اللهُ»، قال: أنت أفضلها فيها قولاً وأعظمها فيها طَوْلاً، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ، وَلا يَسْتَجِرُّهُ الشَّيْطَانُ»»[٥٠].

– كلام الله صفةٌ من صفاته، والكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، فكما أنّ ذات الله لا يشبهها ذوات المخلوقين فإنّ كلام الله لا يشبهه كلام المخلوقين، ومن

اعتقد أنّ كلام البشر ككلام الله فقد كفر، فكيف بمن فضّل كلامهم على كلامه سبحانه.

الجزائر في: ١٨ جمادى الثانية ١٤٣٢هـ

الموافق ل: ٢١ مـــــايـــــو ٢٠١١م

- عاين الجزء الثاني -

---

(١) وقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بعدم صحّة الصلاة خلف من يعتقد العقيدة التيجانية؛ لأنها عقيدة كفرٍ وضلالٍ. [انظر: «فتاوى اللجنة الدائمة» جمع وترتيب الدويش (٧/ ٣٦٢)].

(٢) «زاد المعاد» لابن القيّم (٣/ ٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه في باب اتّباع سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، رقم (٨)، من حديث أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٥٧١).

(٤) «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» للسيوطي (٢/ ٤٧٢).

(٥) «تذكرة الحفّاظ» للحافظ شمس الدين الذهبي (١/ ٢٧٣).

(٦) وقد جُمعت في بيتين هما:

القَدْحُ لَيْسَ بِغِيبَةٍ فِي سِتَّةٍ ... مُتَظَلِّمٍ وَمُعَرِّفٍ وَمُحَذِّرِ

وَمُجَاهِرٍ فِسْقًا وَمُسْتَفْتٍ وَمَنْ ... طَلَبَ الإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرِ

(٧) «رياض الصالحين» للنووي: باب ما يُباح من الغِيبة.

(٨) أخرجه البخاري في «بدء الوحي» باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (٣)، ومسلم في «الإيمان» (١٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٩) «آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي» (١/ ١٩٠).

(١٠) لمن أراد التوسع يمكنه الاستعانة بالمراجع التالية:

«التجانية، دراسةٌ لأهم عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنّة» للدكتور علي بن محمد آل دخيل الله،

«الهداية الهادية إلى الطائفة التجانية» للدكتور محمّد تقي الدين الهلالي،

«مشتهى الخارف الجاني في ردِّ زلقات التجانيِّ الجاني» لمحمد الخضر بن سيدي عبد الله الجكني الشنقيطي،

«كشف الحجاب عمّن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب» لأحمد بن الحاج العياشي سكيرج،

«الدرر السنية في شروط وأحكام وأوراد الطريقة التجانية» لمحمد سعد بن عبد الله الرباطابي التجاني.

(١١) «مجلّة الشهاب» (٤/ ٢٤٤).

(١٢) انظر ترجمته في: «جواهر المعاني» لعلي حرازم (١/ ٣٠)، «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أُقبر من العلماء والصلحاء بفاس» لمحمّد بن جعفر الكتّاني رقم (١١٩).

(١٣) (١/ ٥١).

(١٤) (ص ١٤٠) طبعة دار الثقافة.

(١٥) «بغية المستفيد شرح منية المريد» لمحمّد العربي السائح التجاني (٢٧٣).

(١٦) المصدر نفسه (١٨٣).

(١٧) «جناية المنتسب العاني» لأحمد سكيرج (٢/ ٧٢).

(١٨) هو محمّد تقي الدين الهلالي.

(١٩) «التجانية، دراسةٌ لأهمِّ عقائد التجانية على ضوء الكتاب والسنّة» (٨٦).

(٢٠) (١/ ٢٥٩).

(٢١) «جواهر المعاني» (١/ ١٨٤).

(٢٢) «ميدان الفضل والإفضال في شمِّ رائحة جوهرة الكمال» لعبيدة بن محمّد الصغير (٦٢).

(٢٣) «الدرّة الخريدة» (٣/ ٢١٦).

(٢٤) أخرجه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠)، من حديث أسماء رضي الله عنها.

(٢٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ١١٨)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وحسّنه الألباني في «السلسة الصحيحة» (١/ ٦٧٠).

(٢٦) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤) من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه. وهو في «صحيح الجامع» (٣٩١٣).

(٢٧) أخرجه الترمذي (٢٦٤٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو في «صحيح الجامع» (٦٢٩٨).

(٢٨) انظر: «تفسير القرطبي» (٣/ ٤٠٦).

(٢٩) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٣٠٨).

(٣٠) انظر: «أضواء البيان» للشنقيطي (٤/ ١٥٩).

(٣١) المصدر السابق (١١/ ٢٠٨)

(٣٢) «الاستقامة» لابن تيمية (١/ ٣٩١).

(٣٣) انظر: «الأمّ» للشافعي (٦/ ٢١٩).

(٣٤) أخرجه الترمذي في «تفسير القرآن» باب ومن سورة التوبة (٣٠٩٥)، وحسّنه الألباني في «غاية المرام» (١٩)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٩/ ٧٣).

(٣٥) «أضواء البيان» للشنقيطي (٤/ ١٥٩).

(٣٦) الترضيةُ تُطلقُ على الصحابة خاصّةً على أرجح أقوال أهل العلم على وجهٍ لازم التحقيق لمن عيّنتهم الآياتُ القرآنية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، ولقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البيّنة: ٨].

(٣٧) (١/ ٦٣).

(٣٨) «رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم» لعمر بن سعيد الفوتي الطوري (١/ ٢٨).

(٣٩) «بغية المستفيد» ص (٢٤٦).

(٤٠) «الدرّة الخريدة» (١/ ٢١٩).

(٤١) «تفسير القرطبي» (٧/ ٥).

(٤٢) أخرجه البخاري في «تفسير القرآن» (٢/ ٥٢٧) باب قوله: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ﴾، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢١٠).

(٤٤) ونصُّها: «اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ الفاتح لِما أُغلق، والخاتم لِما سبق، ناصر الحقِّ بالحقِّ، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم». انظر: «أحزاب وأوراد التجاني» (١٢).

(٤٥) (١/ ١٣٦).

(٤٦) هذا الرمز يرمز به مؤلِّف «الدرَّة الخريدة» لكتاب الجامع لابن المشري.

(٤٧) «الدرَّة الخريدة» (٤/ ١٢٨).

(٤٨) «جواهر المعاني» (١/ ٩٨).

(٤٩) «جواهر المعاني» (١/ ١٠١).

(٥٠) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٤)، وأبو داود في «الأدب» (٤٨٠٦) باب في كراهية التمادح، والحديث صحَّحه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٠٠).

الحقُّ المبين في كشف شبهاتٍ من عقائد التجانيين

[الجزء الثاني]

الفصل الثالث: عقيدتهم في النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم

اعتقادهم رؤيةَ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم يقظةً:

من أعظم الأصول التي تمسّك بها التجانيون وبَنَوْا عليها غالب معتقداتهم ادِّعاؤهم رؤية النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقظةً لا منامًا، وهذه بعض النصوص الموضِّحة لعقيدتهم:

قال في «جواهر المعاني»: «قال رضي الله عنه: أخبرني سيِّد الوجود يقظةً لا منامًا قال لي: أنت من الآمنين، ومن رآك من الآمنين إن مات على الإيمان..»[١].

وقال في «رماح حزب الرحيم»: «ولا يكمل العبد في مقام العرفان حتى يصير يجتمع برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يقظةً ومشافهةً..»[٢].

وقال في «بغية المستفيد»: «..منهم من يرى روحه في اليقظة متشكّلةً بصورته الشريفة، ومنهم من يرى حقيقة ذاته الشريفة وكأنه معه في حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهؤلاء هم أهل المقام الأعلى في رؤيته صلّى الله عليه وآله وسلّم»[٣].

وقال في «الدرّة الخريدة»: «وأمّا الذي هو أفضل وأعزُّ من دخول الجنّة فهو رؤية سيِّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم في اليقظة، فيراه الوليُّ اليوم كما يراه الصحابة رضي الله عنهم فهي أفضل من الجنّة..»[٤].

تفنيد شبهة التجانيين:

اعتمد التجانيون لإثبات عقيدة رؤية النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقظةً لا منامًا على ما رواه البخاريُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ رَآني في المَنامِ فَسَيَرَاني في اليَقَظَةِ وَلاَ يَتَمَثّلُ الشيْطَانُ بي»[٥]، قالوا: فالحديث صريحٌ في رؤية النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم يقظةً بعد موته في الدنيا، ودعوى الخصوص تعسُّفٌ لأنها بغير مخصِّصٍ[٦].

والجواب على هذه الشبهة من وجوه:

الحديث بالرواية التي استدلّ بها التجانيون ليس صريحًا فيما زعموه؛ لأنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد مات، ورؤيته بعد موته من المستحيلات، إذ يلزم منها رجوعه

إلى الحياة الدنيا بعد أن فارقها، وليس ثَمّةَ ما يدلُّ عليه، ولذلك وجب تأويل حديث أبي هريرة رضي الله عنه على وجهٍ يتلاءم والنصوصَ المصرِّحة بموته صلّى الله عليه وسلّم، وقد حمله العلماء على وجوهٍ:

الوجه الأوّل: أنه على التشبيه والتمثيل، ويدلُّ عليه الرواية الأخرى للحديث وهي: «لَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي اليَقَظَةِ»[٧].

الوجه الثاني: قد يكون المقصود به من عاصره صلّى الله عليه وآله وسلّم ولّما يَرَه بعدُ، قال ابن التين: «المراد من آمن به في حياته ولم يَرَه لكونه حينئذٍ غائبًا عنه، فيكون بهذا مبشِّرًا لكلِّ من آمن به ولم يره أنه لا بدَّ أن يراه في اليقظة قبل موته»[٨].

الوجه الثالث: أنّ من رآه على صفته التي كان عليها في الدنيا فمنامه ذلك هو الصحيح، ورؤيته له حقٌّ «وقال ابن بطّالٍ: قوله فسيراني في اليقظة يريد تصديقَ تلك الرؤيا في اليقظة وصحّتها وخروجها على الحقِّ»[٩].

الوجه الرابع: أنه يراه يقظةً يوم القيامة، وردَّ ابن بطّالٍ هذا التأويلَ بأنْ لا خصوصية لمن رآه في المنام، لأنّ جميع أُمّته ستراه يوم القيامة، سواءٌ من رآه في المنام ومن لم يره[١٠].

وأمّا التفسير الذي بنى عليه التجانية عقيدتهم فباطلٌ من وجوه منها:

١- أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد مات، ورؤيته بعد موته يقظةً مستحيلٌ شرعًا؛ لأنه مُنافٍ لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

٢- أنّ جمعًا غفيرًا من سلف الأُمّة وخلفها قد رأَوْه في المنام، ولم يذكر واحدٌ منهم أنه رآه في اليقظة، فلو حُمل الحديث على ظاهره للزم منه ادِّعاء الكذب على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وخبر الصادق لا يتخلّف.

٣- ولو حُمل على ظاهره لكان هؤلاء الذين رأوه منامًا صحابةً، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة.

٤- أنّ حمله على ظاهره يلزم منه لوازم باطلةٌ منها: أن لا يراه أحدٌ إلاّ على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في وقتٍ واحدٍ في مكانين، وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشيَ في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه، ويلزم من ذلك أن يخلوَ قبره من جسده فلا يبقى من قبره فيه شيءٌ فيزار مجرّد القبر ويسلّم على غائبٍ لأنه جائزٌ أن يُرى في الليل والنهار مع اتِّصال الأوقات على حقيقته في غير قبره.

قال القرطبيُّ: «وهذه جهالاتٌ لا يبوء بالتزام شيءٍ منها من له أدنى مسكةٍ من المعقول، وملتزمُ شيءٍ من ذلك مختلٌّ مخبولٌ»(١١).

واعتمدوا على شبهةٍ أخرى:

«أنّ رؤية النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم يقظةً بعد موته في الدنيا قد وقعت لجمعٍ غفيرٍ من سلف هذه الأُمّة منهم: الشيخ أبو مدين المغربي شيخ الجماعة، والشيخ عبد الرحمن القناوي، والشيخ أبو العبّاس المرسي، والشيخ أبو السعود بن أبي العشائر، وإبراهيم المتبولي، والشيخ جلال الدين السيوطي، وغيرهم»(١٢).

وجوابها:

بغضِّ النظر عن صحّة سند ما ذكروه فلا يمكن الاعتمادُ على مجرّد حوادثَ حُكيت عن بعض الصالحين وتُجعل دليلاً لإثبات ما نفته الأخبار الصحيحة، وما وقع لهؤلاء الشيوخ -إن صحّ- فلا يسلمون من تلبيس الشيطان عليهم، كما أنّ رؤية النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقظةً بعد موته لم تُنقل عمّن هُم أفضلُ مِن هؤلاء المذكورين من أهل القرون الثلاثة المفضّلة، لاسيّما مع وقوع حوادثَ كانت الأمّة الإسلامية بأمسِّ الحاجة إلى ظهوره لحسم الخلاف فيها ودفع الفرقة والاختلاف:

– كاختلاف المهاجرين والأنصار على الخلافة وبقي النزاع بينهم مستمرًّا ثلاثة أيّامٍ شغلهم عن دفن النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فلم يظهر صلّى الله عليه وآله وسلّم لأفضل أُمّته بعده ليخبره أنه الخليفة وينقطع بذلك النِّزاع في أمرٍ مُهِمٍّ.

– وكاختلاف أبي بكرٍ رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها على ميراث أبيها صلّى الله عليه وآله وسلّم.

– ما وقع بين طلحة والزبير وعائشة من جهةٍ، وعليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عن الجميع من جهةٍ أخرى، حتى وقعت حرب الجمل فقُتل فيها خلقٌ كثيرٌ من الصحابة.

– وخلاف عليٍّ رضي الله عنه مع الخوارج، وكذا ما وقع بين عليٍّ ومعاوية رضي الله عنهما من النِّزاع.

ففي كلِّ هذه الحوادث وغيرها لم يُروَ أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ظهر لأصحابه رضي الله عنهم يقظةً ليفصل بينهم مع أنهم أصحابه، فكيف يظهر لمن هو دونهم منزلةً وتقوى؟!!

ثمّ إنّ إثبات التجانيين لعقيدة رؤية النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يقظةً والالتقاء به حسِّيًّا ومشافهته بعد موته أصلٌ عظيمٌ من أصولهم الاعتقادية بَنَوْا عليه كثيرًا من عقائدهم ودينهم، وفتحُوا بذلك باب شرٍّ كبيرٍ يعود على الإسلام بالهدم، وعلى أصوله السليمة بالنقض، حيث يَدَّعي من اشتهى منهم أنه يتلقّى العلم مباشرةً من النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال محمّد العربي التجاني ناقلاً عن الشيخ أحمد الزاوي قوله: «طريقتنا أن نكثر من الصلاة عليه صلّى الله عليه وآله وسلّم حتى نصير من جلسائه ونصحبه يقظةً مثل أصحابه، ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعّفها الحفّاظ عندنا ونعمل بقوله فيها»[١٣]، وجاء في «جواهر المعاني» عن التجاني أنه قال: «رأيته مَرّةً صلّى الله عليه وسلّم وسألته عن الحديث الوارد في سيِّدنا عيسى عليه السلام، قلت له: ورد عنك روايتان صحيحتان: واحدةٌ قلت فيها: يمكث بعد نزوله أربعين،

وقلت في الأخرى: سبعًا.. ما الصحيحة منها؟ قال صلّى الله عليه وسلّم: رواية السبع»[١٤].

وهذا ضربٌ لجهود علماء الحديث وإهدارٌ لها، فكان يكفي البخاريَّ ومسلمًا وغيرهما وهما أشرف من التجاني أن يلتقوا النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم منامًا ليسألوه عن الأحاديث المختلف فيها بدل أن يُفنوا أعمارهم في الرحلات ويلاقوا فيها المشقّة والتعب.

ومن جهة أخرى: فإنّ ما يَدّعيه التجاني مخالفٌ للنصوص المصرِّحة بانقطاع الوحي بموت النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، وقد حملهم ذلك على أن ادّعوا أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قد كتم شيئًا ممّا أوحي إليه، وهذه بعض نصوصهم الموضِّحة لذلك:

اعتقادهم بأنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كتم شيئًا من الوحي:

- قال في «جواهر المعاني»: «فلمّا انتقل إلى الدار الآخرة وهو كحياته صلّى الله عليه وآله وسلّم في الدنيا، سواءٌ صار يُلقي إلى أُمّته الأمر الخاصَّ للخاصِّ»[١٥].

- قال كذلك: «وسألته رضي الله عنه: هل خبر سيِّد الوجود بعد موته كحياته سواءٌ؟ فأجاب رضي الله عنه بما نصُّه: الأمر العامُّ الذي كان يأتيه عامًّا للأمّة طُوي بساط ذلك بموته صلّى الله عليه وسلّم، وبقي الأمر الخاصُّ الذي كان يلقيه للخاصِّ، فإنّ ذلك في حياته وبعد مماته دائمًا لا ينقطع»[١٦].

- وقال مؤلِّف «الجيش الكفيل»: «وسئل: هل كان صلّى الله عليه وسلّم عالمًا بفضل «صلاة الفاتح لِما أُغلق؟» فقال: نعم كان عالمًا به، قالوا: ولِم لَم يذكره لأصحابه؟ قال: لعلمه صلّى الله عليه وسلّم بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره الله على يديه في ذلك الوقت»[١٧].

شبهتهم:

استند التجانيون في تقرير ما ادّعوه من أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يبلّغ جميعَ ما أُمر به إلى شبهاتٍ واهيةٍ منها:

١- قال مؤلّف «الجيش الكفيل»: «وفي فقه الأعيان للشيخ سيدي المختار الكنتي رحمه الله تعالى ما نصُّه: قال عليه الصلاة والسلام: «أخذتُ ليلة أسري بي ثلاثة علوم: علمٌ أُخذ عليَّ العهد أن أبلّغه للخاصّ والعامّ، وعلمٌ أُخذ عليَّ العهد أن لا أبلّغه إلاّ لخواصّ أصحابي الذين يقدرون على حمله، وعلمٌ لا يقدر على حمله غيري فأُخذ عليَّ العهد ألاّ أُخبِر به أحدًا»، ثمّ قال: «فإذا تقرّر هذا علمتَ ضرورة أنه صلّى الله عليه وسلّم لم يؤمر بتبليغ كُلِّ ما علمه، كيف وعنده علم الأوّلين والآخَرين»[١٨].

٢- ومنها: أنّ أبا هريرة رضي الله عنه قال: «حفظتُ من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وعاءين، فأمّا أحدهما فبثثتُه، وأمّا الآخَر فلو بثثتُه قُطع هذا البلعوم»، قال مؤلّف «بغية المستفيد»: «ومعلومٌ أنه لا يُقْطَع منه البلعوم إلاّ بإفتاء من لم يُطلعه الله تعالى على ما اختُصَّ به من العلم الذي يتحقّقه في باطنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم»[١٩].

والجواب على هذه الشبهة على النحو الآتي:

- أنّ الحديث المستَند إليه مكذوبٌ على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يذكر له المستدلُّ به سندًا، وليس مذكورًا في كتب الحديث والعلم إلاّ في بعض كتب الصوفية.

- أنه معارَضٌ بصريح القرآن والسنّة: ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الجَنَّةِ إِلاّ قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ إِلى النَّارِ إِلاّ قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ»[٢٠]، وشهدت له أمّته بأنه أدّى الأمانة وبلّغ الرسالة كاملةً غير منقوصةٍ في أكبر المحافل يوم عرفة حيث قال: «أَلاَ هَلْ بَلّغْتُ؟» قالوا: «نعم»، وكان يقول: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الغَائِبَ»[٢١].

– أمّا الوعاء الذي كتمه أبو هريرة في أوّل الأمر فليس فيه شيءٌ من علم الدّين ومعرفة الله وتوحيده ولا شيءٌ من الأحكام التكليفية، إذ إنّ هذا ممّا لا يجوز كتمُه، وقد قيل: إنّ الذي في ذلك الجراب أحاديث الفتن التي تكون بين المسلمين والملاحم التي تكون بين المسلمين والكفّار، وامتنع عن التحديث بها قبل وقوعها لأنّ ذلك ممّا لا تحتمله رؤوس العوامّ، وقيل: إنما كان يمتنع خوفًا من أن يسطوَ عليه أمراء بني أُميّة، لِما يعرفه من الأحاديث المبيّنة لأسامي أمراء السوء، وكان رضي الله عنه يكنّي عن بعضها ولا يصرّح خوفًا على نفسه، كقوله: «أعوذ بالله من رأس ستّين وإمارة الصبيان» يشير بذلك إلى خلافة يزيد بن معاوية، واستجاب الله دعاءه ومات قبلها بسنة[٢٢]، وجهلُ ما كتمه أبو هريرة رضي الله عنه لا يضرُّ المؤمنَ، وليس ممّا يقرّب إلى الله تعالى من الأقوال والأعمال.

إيمانهم بجواز التوسُّل بذات النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم:

يؤمن التجانيون بجواز التوسُّل بذات النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وبالشيخ التجاني، ومؤلّفاتهم مليئةٌ بالنصوص التي تدلُّ على ذلك:

– قال مؤلّف «رماح حزب الرحيم»: «وأمّا كيفية التوسُّل به رضي الله عنه وبجدّه صلّى الله عليه وسلّم فهي أنك مهما أردتَ حاجةً من حوائج الدنيا والآخرة فصلِّ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بنيّة قضاء الحاجة التي تريدها ثمّ تقول: يا ربِّ توسّلتُ إليك بحبيبك ورسولك وعظيم القدر عندك سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم في قضاء الحاجة التي أريدها –مائة مرّةٍ– ثمّ تقول: أسألك وأتوجّه إليك بجاه القطب الكامل

سيِّدنا أحمد بن محمَّد التجاني وجاهه عندك أن تعطيَني كذا وكذا، وتسمِّي حاجتك بعينها عشرًا..»[٢٣].

– وقال مؤلِّف «الدرَّة الخريدة»: «من زار من الإخوان الأحمديِّين شيخًا من المشايخ حيًّا كان أو ميِّتًا بقصد التوسُّل به والاستمداد غير شيخنا أبي الفيض[٢٤] فقد خرج عن طريقة الأحمدية ولا إذن عنده فيها، بل انسلخ منها انسلاخ الجلد عن النعاج، وانفصل عنها انفصال البيض عن الدجاج..»[٢٥].

شبهاتهم:

يستدلُّون بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

ف «يؤخذ من هذه الآية على طريق الإشارة: وابتغوا إليه الوسيلة التي تنقطعون بها عن غيره لتصلوا به، ولا وسيلة أعظم من النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، ولا وسيلة إلى النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أعظم من الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم، ومن جملة ما يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى الشيخ الكامل فإنه أعظم الوسائل إلى الله تعالى»[٢٦].

– وبما رُوي عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «توسَّلوا بجاهي فإنّ جاهي عند الله عظيمٌ».

– وبحديث عثمان بن حُنَيف رضي الله عنه: «أنّ رجلاً ضرير البصر أتى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم فقال: ادعُ اللهَ أن يعافيَني، قال: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضّأ فيُحسن وضوءَه ويدعوَ بهذا الدعاء: اللّهم إنِّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيِّك محمَّدٍ نبيِّ الرحمة، إنِّي توجَّهتُ بك إلى ربِّي في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللهمَّ فشفِّعْه فيَّ»[٢٧].

– وبالقياس على المخلوق حيث قال مؤلِّف «الدرّة الخريدة»: «..وتأمّل بيوت الحكّام تجدها لا بدّ فيها من الواسطة، ففي سلوكنا للوسائط سلوكٌ للأدب معهم وسرعةٌ لقضاء حوائجنا، ومِن أين لأمثالنا أن يعرف أدب خطاب الله عزّ وجلّ؟»[٢٨].

تفنيد شبههم:

ويمكن تفنيد ما اعتمدوا عليه لتجويز التوسُّل بذات النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وسائر مشايخهم بما يلي:

أمّا استدلالهم بآية المائدة فغير سليمٍ؛ ذلك لأنّ الوسيلة التي وردت في الآية هي بمعنى التقرُّب إلى الله بالأعمال الصالحة كالصلاة وسائر الطاعات، وهذا الذي اتّفق عليه الأئمّة من المفسّرين، قال ابن كثيرٍ –رحمه الله–:«قال سفيان الثوريُّ حدّثني أبي عن طلحة عن عطاء عن ابن عبّاسٍ أي: **القربة**، وكذا قال مجاهدٌ وعطاءٌ وأبو وائلٍ والحسن وقتادة وعبد الله بن كثيرٍ والسدّيُّ وابن زيدٍ وغير واحدٍ، وقال قتادة: أي: تقرّبوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه»، ثمّ قال بعدها: «وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمّة لا خلاف بين المفسّرين فيه»[٢٩].

ولم يَرِدْ عن أحدٍ من السلف أنّ المقصود بالوسيلة هو النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو أحد المشايخ كالتجاني أو غيره، وهل تعطّلت الوسيلة قبل التجاني والمشايخ؟! وتفسير الآية بهذا التفسير مع إجماع العلماء على خلافه تفسيرٌ باطلٌ، قال الألوسيُّ –رحمه الله–: «واستدلّ بعضُ الناس بهذه الآية على مشروعية الاستغاثة بالصالحين وجَعْلِهم وسيلةً بين الله تعالى وبين العباد... وكلُّ ذلك بعيدٌ عن الحقِّ بمراحل»[٣٠].

– وأمّا الحديث المذكور: «توسّلوا بجاهي» فمكذوبٌ على النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، قال ابن تيمية –رحمه الله–: «وهذا الحديث كذبٌ ليس في شيءٍ من كتب المسلمين التي يُعْتَمد عليها»[٣١].

ولا شكَّ أنّ جاهه صلّى الله عليه وآله وسلّم ومقامه عند الله عظيمٌ، ولا يعني ذلك جوازَ التوسُّل بجاهه صلّى الله عليه وآله وسلّم، فالخلط بينهما من قلّة العلم والفقه.

- وأمّا حديث الضرير فليس فيه دليلٌ على جواز التوسُّل بذات النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أو بجاهه، إذ قوله: «إنّي أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك» على تقدير محذوفٍ مضافٍ، أي: «بدعاء نبيّك أو بشفاعته»، ويدلُّ على هذا المعنى أمورٌ كثيرةٌ منها:

١- قول الضرير أوّلَ الحديث: «ادعُ الله أن يعافيَني»، وقوله بعد ذلك: «فادعُهْ».

٢- قول النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ فَهُوَ خَيْرٌ».

٣- قول الضرير في دعائه «اللهمَّ فشفِّعه فيّ».

٤- أنّ مجيء الضرير إلى النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم كان بقصد أن يدعوَ له، إذ لو كان قصدُه التوسُّلَ بجاهه لكان يكفيه أن يجلس في بيته ويدعوَ قائلاً مثلاً: «اللهم رُدَّ إليّ بصري بجاه نبيّك محمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم».

كما أنه من جهةٍ أخرى دليلٌ في غير موضع الاستدلال، فالأعرابيُّ طلب من النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يدعوَ له مع حضوره في حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم، فأين هذا من دعاء الأموات والالتجاء إليهم في الشدائد؟

- وأمّا استدلالهم بالقياس فغايةٌ في الفساد والقبح؛ لأنّ الحكّام إنما يحتاجون للوسائط: إمّا لعدم معرفتهم بأمور رعاياهم، وإمّا لعجزهم فيحتاجون لمن يعينهم، وإمّا لكونهم ظَلَمةً يمنعون الرعيّةَ حقوقَهم فتستعين الرعيّةُ بوسيطٍ يُلين قلبَ الراعي تجاههم، والله سبحانه وتعالى صمدٌ غنيٌّ عن خلقه مُنَزّهٌ عن النّقص والعيب، لا يحتاج أحدًا من خلقه، وليس له ظهيرٌ ولا مُعينٌ لكماله عزّ وجلّ.

فتبيَّن من هذا تهافُتُ شبهتهم ومخالفتُهم باعتقادهم هذا ما كان عليه الرعيلُ الأوَّل من الاعتقاد السليم الصحيح، وهم بهذا يجعلون بين الله وبين خلقه الوسائطَ من الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، فأنّى لهم أن ينفعوا غيرهم.

غلوُّهم في النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم:

قال مؤلِّف «جواهر المعاني»: «..لا شكَّ أنه صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذا الميدان تامٌّ في نفسه لا يطرأ عليه النقص بوجهٍ من الوجوه، كاملٌ صلّى الله عليه وآله وسلّم، يُفيض الكمالات على جميع الوجود من العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأحوال والفيوضات والتجلّيّات والمواهب والمِنَح وجميع وجوه العطايا، فكلُّ ما يفيضه الحقُّ سبحانه وتعالى على الوجود مطلقًا ومقيَّدًا أو كثيرًا أو قليلاً ممّا اشتهر أو شذّ إنما يُفيضه بواسطة الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، فمن ظنَّ أن يصل شيءٌ إلى الوجود بغير واسطة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فقد جهل أمْرَ الله، وإن لم يتبْ خسر الدنيا والآخرة بهذا الاعتقاد..»[٣٣].

شبهاتهم:

يستدلُّون بقول النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللهُ يُعْطِي»[٣٣]، ووجه الاستدلال من الحديث ذَكَرَهُ مؤلِّف «جواهر المعاني» حيث قال: «أخبر أنّ العطاء الأوّل هو الاقتطاع الإلهيُّ كان متّصلاً بالقسم على ما نفذت به المشيئة الإلهية، والاقتطاع أوّلاً كان من الله لجميع خلقه، والتقسيم هو تناوُله من يد الملك أو من حضرته، وتوصيلُه إلى من أُمِر بإعطائه كان عنه صلّى الله عليه وسلّم، فهو في ذلك بمنزلة العبد الذي يأمره الملك بتوصيل العطايا إلى الناس فهو يوصلها إلى أربابها على قدر ما أراده الملك، فهذا معنى الحديث..»[٣٤].

والجواب: أنّ هذا المعنى الذي ذكروه من أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم واسطةٌ بين الله وبين خلقه، وأنه قاسمٌ ما يقع في ملك الله من الخير والشرِّ بمَنْزِلة العبد مع

الملك، باطلٌ يردُّه الكتاب والسنّة، فإنّ الله سبحانه وتعالى هو المتصرّف دون سواه، وهو المالك للضرّ والنفع، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الفتح: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢]، فلو كان النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قاسِمَ ما يقع في ملك الله لَما ردَّ هؤلاء الصحابةَ الكرام، ولأعطاهم ما يتَقَوَّوْن به على أداء الجهاد في سبيل الله.

والمعنى الصحيح للحديث أنّ الله سبحانه هو المعطي وحده، والرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم قاسمٌ يقسم ما بين يديه من الأموال والغنائم، لا ما ادَّعاه التجانيون من أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قاسِمُ كلِّ ما يقع في ملك الله من خيرٍ أو شرٍّ في حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم وبعد مماته.

قال ابن بطّال: «معناه: أنّي لم أستأثر من مال الله تعالى شيئًا دونكم، وقاله تطييبًا لقلوبهم حين فاضل في العطاء فقال: الله هو الذي يعطيكم لا أنا، وإنما أنا قاسمٌ، فمن قَسمتُ له شيئًا فذلك نصيبه قليلاً كان أو كثيرًا»[٣٥].

وما ذكروه في حقِّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ممّا سبق نقلُه هو من الغلوِّ المنهيِّ عنه، كمثل قولهم: «ومن توهَّم أنه صلّى الله عليه وسلّم انقطع جميعُ مَدَده على أُمّته بموته صلّى الله عليه وسلّم كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم وأساء الأدب معه، ويُخشى عليه أن يموت كافرًا إن لم يتب من هذا الاعتقاد»[٣٦]، فإنّ الله سبحانه وتعالى خاطب نبيَّه بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وفي الحديث: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[٣٧]، وهذا يدلُّ على انقطاع الحسِّ والحركة من الميِّت، وعلى أنّ أرواحهم وأعمالهم منقطعةٌ عن الزيادة والنقصان إلاّ ما استُثني كما في

الحديث، وليس للميّت تصرُّفٌ في نفسه فضلاً عن غيره، فكيف يدّعي التجانيُّون أنّ مَدَدَ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لأُمّته مستمرٌّ بعد وفاته؟

والمدد عند إطلاقه يراد به المَدَد الحِسّيُّ كالرزق والإبراء والإعانة، ويراد به المعنويُّ كالهداية والتوفيق والإلهام، والنبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا كما أمره الله تعالى أن يقول: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فكيف يملك لغيره النفع والضرّ؟ هذا في حياته صلّى الله عليه وآله وسلّم، فكيف بعد وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى؟

وقد كان عليه الصلاة والسلام يجهّز الجيوشَ ويبعث السرايا إلى المعارك والغزوات وما عَلّم أحدًا منهم أن يسألوه المددَ والإعانة إذا ادلهمّت بهم الخطوب وحاصرتهم الجيوش، ولم يفعل ذلك أحدٌ من صحابته رضي الله عنهم في حياته ولا بعد مماته، بل كانت تصيبهم الشدائد والسنون فلا يلجأون إلاّ إلى الله العليِّ العظيم، لعلمهم أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه، فعن أنسٍ رضي الله عنه: «أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطّلب. قال: اللهمّ إنّا كُنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمِّ نبيّنا فاسقنا، قال: فيُسْقَوْن»(٣٨)، فهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يطلبون من الله السقيا بدعاء النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في حياته، أي: أنّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يدعو وهم يؤمّنون على دعائه فيسقيهم الله تعالى، وبعد وفاته صلّى الله عليه وآله وسلّم كانوا يقدّمون العبّاسَ رضي الله عنه يدعو الله ليسقيَهم، فلو كان النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم مددَ أُمّته بعد وفاته فكيف يتركونه رضوان الله عليهم ويستسقون بعمّه، وهم أقرب الناس إلى قبره؟ وهل جهل الصحابة رتبةَ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، أم أنهم أساؤوا الأدب معه كما يدّعيه التجانيون؟ حاشاهم رضي الله عنهم وهُم أعظم الناس أدبًا مع الرسول صلّى الله عليه وآله وسلم؟ وكيف يتجاسر التجانيون بحكمهم الجائر: «ويُخشى عليه

أن يموت كافرًا إن لم يتب من هذا الاعتقاد»، وقد تبيَّن أنّ خِيرة القرون على هذا المعتقد السليم؟

الفصل الرابع: عقيدة التجانيين في اليوم الآخر

اعتقادهم أنّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ضَمِن للتجاني وأتباعه الجنّة:

زعم التجاني أنّ النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ضمن له ولأتباعه دخولَ الجنّة بغير حسابٍ ولا عقابٍ، ولو عملوا من الذنوب والمعاصي ما عملوا، وهذه بعض النصوص التي وردت في كتب التجانيِّين توضِّح ذلك:

– قال مؤلِّف «جواهر المعاني»: «اطّلعت على ما رسمُه وخطُّه ونصُّه: ..أسأل من فضل سيِّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يضمن لي دخول الجنّة بلا حسابٍ ولا عقابٍ في أوّل الزمرة الأولى، أنا وكلُّ أبٍ وأمٍّ ولدوني من أبويَّ إلى أوّل أبٍ وأمٍّ لي في الإسلام من جهة أبي ومن جهة أمّي، من كلِّ ما تناسل منهم من وقتهم إلى أن يموت سيِّدنا عيسى بن مريم من جميع الذكور والإناث.. وكلُّ من أحسن إليّ بإحسانٍ حِسّيٍّ أو معنويٍّ من مثقال ذرّةٍ فأكثر.. وكلُّ من لم يُعَادِني من جميع هؤلاء، وأمّا من عاداني وأبغضني فلا، وكلُّ من والاني واتّخذني شيخًا أو أخذ عنّي ذِكرًا، وكلُّ من خدمني أو قضى لي حاجةً.. وآباؤهم وأمّهاتهم وأولادهم وبناتهم وأزواجهم.. يضمن لي سيِّدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولجميع هؤلاء أن نموت وكلُّ حيٍّ منهم على الإيمان والإسلام»، ثمّ قال: «كلُّ ما في هذا الكتاب ضمنتُه لك ضمانةً لا تتخلّف عنك وعنهم أبدًا إلى أن تكون أنت وجميع من ذكرت في جواري في عليِّين، وضمنتُ لك جميعَ ما طلبتَه منّا ضمانًا لا يُخْلَف عليك الوعدُ فيها، والسلام»، ثمّ قال: «وكلُّ هذا واقعٌ يقظةً لا منامًا»[٣٩].

– ونقل مؤلِّف كتاب «رماح حزب الرحيم» عن التجاني قوله: «..وليس لأحدٍ من الرجال أن يُدخل كافّةَ أصحابه الجنّةَ بغير حسابٍ ولا عقابٍ ولو عملوا من الذنوب ما

عملوا وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلاّ أنا وحدي، ووراء ذلك ما ذكر لي فيهم وضمنه لهم صلّى الله عليه وسلّم أمرٌ لا يحِلُّ ذكرُه ولا يُرى ولا يُعْرَف إلاّ في الآخرة»[٤٠].

شبهاتهم:

ليس للتجانيّين ما يستندون إليه في زعمهم ضمانَ الجنّة لأتباعهم إلاّ نصوصٌ عامّةٌ أنزلوها بأهوائهم على شيخ الطريقة وأتباعه، ومن ذلك:

حديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنّةَ بغير حسابٍ ولا عذاب[٤١]، وفي بعض روايات الحديث أنّ مع السبعين ألفًا زيادةً كما في حديث أبي أمامة مرفوعًا: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلاَ عَذَابَ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاَثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي»[٤٢]، قال محمّد الحافظ التجاني: «وفي حثيةٍ من حثيات الحقّ يدخل التجاني وأحبابه وأصحابه وأكثر منهم، اللهمّ إلاّ إن اجترأ مفترٍ على الله فحدّها بحدٍّ أو قدّرها بقدرٍ لا دليل فيه إلاّ رأيٌ سخيفٌ ما أنزل الله به من سلطانٍ»[٤٣].

– وبحديث: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ»[٤٤]. قال محمّد الحافظ التجاني: «وقد سأل ذلك لنفسه وأحبابه، فهل اطّلعتَ على أنّ الله لم يستجب له»[٤٥].

الجواب:

إنّ الاستدلال بحديث السبعين ألفًا في غير محلّه، إذ غاية ما يدلُّ عليه أنّ أناسًا من أُمّة محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم يدخلون الجنّة بغير حسابٍ ولا عذاب، وليس فيه دليلٌ على ضمان الجنّة لأحدٍ مُعيّنٍ، والنبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لمّا سئل عن السبعين ألفًا أجاب صلّى الله عليه وسلّم بذكر صفاتهم وأنهم: «لاَ يَكْتَوُونَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ

يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، ولم يخصّص ذواتهم وأسماءَهم، فمن أين للتجانيين أنهم هم قطعًا؟ أو أنهم من حثيات الله سبحانه وتعالى؟ اللهمّ إلاّ التألّي على الله بغير علمٍ.

وأمّا حديث سؤال الله الفردوس فليس فيه أيُّ دلالةٍ على ما أراد التجاني من ضمان الفردوس له ولأتباعه، وإنما فيه حثُّ المكلّفين على سؤال ذلك طمعًا في فضل الله ورضوانه، والتجاني لم يقتصر على الدعاء فقط بل تعدّى إلى الضمان، وما استفهم به بقوله: «فهل اطّلعت أنت على أنّ الله لم يستجب له» يقابله استفهامٌ أقوى منه، «وهل اطّلعتَ على أنّ الله استجاب دعاءه» فإنّ إدخال العباد الجنّةَ من خصائص الربوبية لا يشارك فيها ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، يُدْخِل سبحانه من يشاء الجنّةَ بفضله، ويمنعها من يشاء بعدله، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصّلت: ٤٦]، والنبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يضمن لأصحابه ما ضمن التجاني لأتباعه، وهم الذين اصطفاهم الله لصحبة نبيّه، وبذلوا النفس والنفيس، وهجروا الأوطان والخلاّن في سبيل الله، بل كان صلّى الله عليه وآله وسلّم يرجو لهم الخيرَ ويحثُّهم على العمل الصالح والإكثار منه ليكون سببًا في دخولهم الجنّةَ كما في حديث ربيعة بن كعبٍ الأسلميّ رضي الله عنه قال: كنتُ أبيت مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأتيتُه بوضوئه وحاجته فقال لي: «سَلْ»فقلت: أسألك مرافقتك في الجنّة، قال: «أَوَغَيْرَ ذَلِكَ» قلت: هو ذاك، قال: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»(٤٦).

قال المناوي: «وفيه أنّ مرافقة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم في الجنّة من الدرجات العالية التي لا مطمع في الوصول إليها إلاّ بحضور الزلفى عند الله في الدنيا بكثرة السجود، انظر أيُّها المتأمّل في هذه الشريطة وارتباط القرينتين لتقف على سرٍّ دقيقٍ، فإنّ من أراد مرافقة الرسول صلّى الله عليه وسلّم لا يناله إلاّ بالقرب من الله، ومن رام قرب الله لم ينله إلاّ بقرب حبيبه، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ﴾ [آل عمران: ٣١] فأوقع متابعة الرسول صلّى الله عليه وسلّم بين المحبّتين، وذلك أنّ محبّة العبد منوطةٌ بمتابعته، ومحبّة الله العبدَ متوقّفةٌ على متابعة رسوله صلّى الله عليه وسلّم»(٤٧).

وقد تجاسر التجاني وضمن الجنّةَ لمن اتّبعه ولو بلغوا من المعاصي ما بلغوا وعملوا من الذنوب ما عملوا، وادّعى أنها خصيصةٌ له وحده دون سائر عباد الله، وهو بذلك يدّعي لنفسه من المراتب ما هو أعلى من مرتبة الأنبياء –وكفى بهذا ضلالاً– وأنه أوتي ما لم يُؤتَه أولو العزم من الرسل، فإنّ موسى عليه السلام الذي وصفه الله بقوله: ﴿وَكَانَ عِندَ اللهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب : ٦٩] امتنع أن يضمن لعجوز بني إسرائيل ما ليس له به أمرٌ حتى أوحى الله إليه به، ففي الحديث أنّ «موسى عليه السلام لّما سار ببني إسرائيل من مصر ضلُّوا الطريق فقال: ما هذا ؟ فقال علماؤهم: إنّ يوسف عليه السلام لّما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا، قال: فمن يعلم موضع قبره؟ قال: عجوزٌ من بني إسرائيل، فبعث إليها فأتته فقال: دُلّيني على قبر يوسف، قالت: حتى تعطيَني حكمي، قال: وما حكمك؟ قالت: أكون معك في الجنّة، فكره أن يعطيَها ذلك فأوحى الله إليه: أن أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرةٍ موضعِ مستنقعِ ماءٍ فقالت: أَنْضِبوا هذا الماء، فأنضبوه فقالت: احتفروا، فاحتفروا فاستخرجوا عظام يوسف فلمّا أقلّوها إلى الأرض وإذا الطريق مثلُ ضوء النهار»[٤٨]، ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم صاحب الشفاعة العظمى صرّح أنه لا يُغني عن قرابته من الله شيئًا إذا لم يزكّوا أنفسهم بالإيمان والعمل الصالح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حين أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ –أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا– اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا»[٤٩].

وصرّح صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه لا يعلم ما يجازى به أصحابه رضوان الله عليهم، فقد روى البخاري[٥٠]: «أنّ أمّ العلاء امرأةً من نسائهم قد بايعت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أخبرته أنّ عثمان بنَ مظعونٍ طار سهمه في السكنى حين أقرعت الأنصار سكنى

المهاجرين، قالت أمُّ العلاء: فسكن عندنا عثمان بن مظعونٍ فاشتكى فمرَّضناه حتى إذا توفِّي وجعلناه في ثيابه دخل علينا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال لي النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنّ اللهَ أَكْرَمَهُ». فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمّي يا رسول الله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أَمّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللهِ اليَقِينُ، وَإِنّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَاللهِ مَا أَدْرِي –وَأَنَا رَسُولُ اللهِ– مَا يُفْعَلُ بِهِ» قالت: فوالله لا أزكّي أحدًا بعده أبدًا. وأحزنني ذلك. قالت: فنمتُ فأريت لعثمان عينًا تجري، فجئت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخبرته فقال: «ذَلِكَ عَمَلُهُ».

فأين هذا من ضمان التجاني لأصحابه الجنّةَ شريطةَ أن لا يصدر منهم سبٌّ ولا بغضٌ ولا عداوةٌ للطريقة وشيخها؟

وازداد تطاوُل التجاني بُعدًا حين ادّعى أنّ «من أخذ الوِرْدَ المعلوم الذي هو لازِمُ الطريق أو عمّن أذنته يدخل الجنّة هو ووالداه وأزواجه وذرِّيّته المنفصلة عنه لا الحَفَدة بلا حسابٍ ولا عقابٍ، بشرط ألاّ يصدر منهم سبٌّ ولا بغضٌ ولا عداوةٌ، وبدوام محبّة الشيخ بلا انقطاعٍ إلى الممات..»[٥١].

وادّعاؤه هذا يدلُّ على أنّ قراءة الورد أفضل من قراءة القرآن، ذلك أنّ هذا المقام الذي ادّعاه التجاني لقارئ الورد لم يحصل لحاملي القرآن، بل دلّ الكتاب والسنّة على أنّ كثيرًا من حَمَلة القرآن يدخلون النار، بل إنّ بعض حملة القرآن من أوّل مَن تُسعَّر بهم النار يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «إِنّ أَوّلَ النّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتّى أُلْقِيَ فِي النّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلّمَ الْعِلْمَ وَعَلّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنّكَ تَعَلّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ

لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»(٥٢) فهذا قارئٌ للقرآن وهو من أوّل من تُسَعَّر بهم النار يوم القيامة لكونه كان مرائيًا بقراءته والعياذ بالله، أمّا قارئ الورد التجاني فإنه يدخل الجنّةَ بلا حسابٍ ولا عقابٍ ولو عمل من المعاصي ما عمل بشرط ألاّ يصدر منه سبٌّ ولا بغضٌ بجانب الشيخ!!، نعوذ بالله من الخذلان.

وفي قوله هذا تشجيعٌ على مقارفة المعاصي والذنوب، لأنّ من ضمن له شيخه دخول الجنّة ولو عمل ما عمل لا يمنعه من اقتراف السيّئات مانعٌ، وهذا مناقضٌ لِما جاءت به الشريعة الإسلامية من أمر الناس بالطاعات ونهيهم عن المعاصي ليكونوا متعبّدين لله بالخوف والرجاء.

اعتقادهم أنّ التجاني ضمن الجنّة لمن رآه:

ورد هذا القول في كثيرٍ من كتب التجانية القديمة والحديثة، وفيما يلي بعضٌ منها:

– ذكر مؤلّف «جواهر المعاني» عن التجاني أنه قال: «..من حصل له النظر فينا يوم الجمعة أو الإثنين يدخل الجنّة بغير حسابٍ ولا عقابٍ إن لم يصدر منه سبٌّ في جانبنا ولا بغضٌ ولا إذايةٌ، ومن حصل له النظر في هذين اليومين فهو من الآمنين إن مات على الإيمان، وإن سبق أنه يحصل له العذاب في الآخرة فلا يموت إلاّ كافرًا، فهذا ما يمكن إعلامكم به في هذا الوقت، وفي وقتٍ آخر يفعل الله ما يشاء»(٥٣).

والتجانيون يؤمنون بذلك ويصدّقونه:

– قال مؤلِّف كتاب «رماح الحزب الرحيم»: «..رأيت شيخنا التجاني رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به في واقعةٍ من الوقائع وبيده حُلّةٌ من نورٍ وقال لي رضي الله عنه وأرضاه وعنّا به: من رأى هذه الحُلّةَ دخل الجنة، ثمّ ألبسني إيّاها رضي الله عنه»[٥٤].

– وقال مؤلِّف «بغية المستفيد»: «ورأيت في كلام بعض من كان مشارًا إليه بالفتح من الأصحاب ما يشير إلى أنّ المختصَّ برائيه في اليومين هو السعادة التي لا شقاوة بعدها، يعني أنه لا يراه في هذين اليومين إلاّ من سبق في علم الله تعالى أن يكون سعيدًا، فيدخل الكفّار في هذا الخطاب، وينسحب عليهم الحكم في هذا المقام بفضل الملك الوهّاب، فيقال: لا يراه في هذين اليومين إلاّ من يسبق في علم الله تعالى أنه يُختم له بالسعادة كائنًا من كان، فإذا رآه الكافر في أحد هذين اليومين خُتم له بالإيمان وعليه فتختصُّ الرؤية المطلقة في كلِّ يومٍ بمن كان مسلمًا، سواءٌ كان من الأصحاب أم لا حسبما هو مصرِّحٌ به في «الجواهر»، وهذه المقيِّدة باليومين بما يشمل كلّ من رآه ولو كان كافرًا»[٥٥].

شبهتهم:

يستدلُّون على أنّ من رأى شيخهم دخل الجنّةَ بقول النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «لاَ تَمَسُّ النَّارُ مُسْلِمًا رَآنِي أَوْ رَأَى مَنْ رَآنِي».

قال محمّد الحافظ: «وقد كان السلف يحملونه على ظاهره ويرجون ذلك الفضل، قال طلحة: «فقد رأيت جابرًا، وقال موسى: فقد رأيت طلحة، قال يحيى: وقال لي موسى: وقد رأيتني ونحن نرجو الله» أه، ونحن نرجو الله معشر التجانيين، وصحّ عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثّلُ بِي» فمن رآه في المنام فقد رآه»[٥٦].

الجواب:

الحديث المستدَلُّ به أخرجه الترمذيُّ في «سننه» كتاب المناقب، باب ما جاء في فضل من رأى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم وصَحِبَه رقم (٣٨٥٨)، وفي ثبوته نظرٌ، قال الترمذيُّ عقبه: «هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلاّ من حديث موسى بن إبراهيم الأنصاريِّ» وموسى بن إبراهيم ذكره ابن حبّان في «الثقات» وقال عنه: «كان يخطئ»[٥٧].

وقد بيّن وجهَ الدلالة من الحديث بجعل دعواهم مجرَّدَ رجاءٍ في قوله: «ونحن نرجو الله معشر التجانيين..» ولو كان الأمر كما ادّعى لهان الخطب لأنّ كلّ مسلمٍ يرجو الله أن يدخله الجنّةَ ويُبعّده عن النار، ولكنّ الأمر أعظم ممّا ادّعاه لأنّ النصوص في كتبهم صريحةٌ بأنّ من رأى التجانيّ دخل الجنّةَ بلا حسابٍ ولا عقابٍ.

وأمّا قوله: «وصحّ عنه صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثّلُ بِي»، فمن رآه في المنام فقد رآه» فهذا صرفٌ للرؤية المذكورة في الحديث بأنها كما تكون للصحابة والتابعين في اليقظة فإنها تكون لمن بعدهم في المنام، وهذا التفسير باطلٌ من وجهين:

أ- أنّ هذا التفسير صرفٌ للحديث عن معناه المتبادر للذهن إلى معنًى بعيدٍ لا دليل عليه، فهو تأويلٌ بعيدٌ.

ب- أنّ الرؤية المذكورة في الحديث هي رؤية اليقظة، ويدلُّ على ذلك تفسير طلحة بن خراشٍ لها وهو من التابعين، وقد بوّب الترمذيُّ للحديث بقوله: «باب ما جاء في فضل من رأى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم وصَحِبَه» وإطلاق الرؤية ينصرف إلى الرؤية البصرية، إذ تحتاج الرؤية المنامية إلى تقييدٍ كقوله مثلاً: «باب فضل من رأى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم وصَحِبَه في المنام».

ج- وعلى فرض صحّة الحديث فهو خاصٌّ برؤية النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وصحابته دون سائر المسلمين، وهذا ما فهمه الترمذيُّ راويه من تبويبه له، وضمن هذا

الفهم يقول الشيخ محمّد صدّيق الهندي: «ظاهر الحديث تخصيص الصحابة والتابعين بهذه البشارة، وليس في لفظه ما يدلُّ على شمول سائر المسلمين إلى يوم الدين، بل قصر تَبَعُ التابعين أيضًا عن الدخول فيه، والحديث أفاد أنّ البشارة خاصّةٌ بمن رأى الصحابيَّ، فمن لم يره وكان في زمنه فالحديث لا يشمله»[٥٨]، فعلى أيِّ أساسٍ طبّق التجانيون معنى الحديث على شيخهم؟ وعلى التسليم بعمومه فبأي مخصّصٍ خصّص التجانيون الحديثَ برؤية شيخهم دون سائر المسلمين؟ اللهمّ إلاّ الهوى والتعصُّب، والله المستعان.

بل إنّ الحديث مقيّدٌ بمن رآه صلّى الله عليه وآله وسلّم ومات على الإسلام لأنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أخبر أنّ قومًا يرتدُّون من بعده فيُذْهَب بهم إلى النار، فعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما مرفوعًا: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً» ثُمَّ قَرَأَ: «﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ -إلى قوله- الحَكِيمُ﴾[المائدة: ١١٧]»[٥٩].

وعن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ، فُلاَنٌ شَهِيدٌ حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلاَنٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلاَّ إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا -أَوْ عَبَاءَةٍ-» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ابْنَ الخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ المُؤْمِنُونَ». قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: «أَلاَ إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ المُؤْمِنُونَ»[٦٠].

فالحديثان صريحان في أنّ مجرّد رؤية النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم غير كافية لدخول الجنّة بخلاف عقيدة التجانيين الباطلة في زعمهم أنّ من رأى التجاني دخل الجنّةَ ولو كان كافرًا فإنه يُختَم له بالإيمان، ومن لازم هذا الباطل أنّ التجاني أفضلُ من النبيِّ

صلّى الله عليه وآله وسلّم، لأنّ هذه الكرامة المزعومة لم ينلها النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ولا أحدٌ من الأنبياء قبله. وربُّنا سبحانه وتعالى جعل الأعمال الصالحة سببًا لدخول الجنّة في مثل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] ولم يَرِدْ في كتابٍ ولا سنّة صحيحة أنّ رؤية النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وحدها كافيةٌ لدخول المشركين الجنّةَ، وهم الذين كانوا يرونه صباحَ مساءَ ولم تنفعهم في شيءٍ، بل إنّ عمّه أبا طالبٍ كان من المدافعين عنه ولم يشفع له دفاعه لإدخاله الجنّةَ، بل إنّ استغفار النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم للمشركين لا ينفعهم كما جاء صريحًا في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠] فكيف تنفعهم أي: المشركين رؤيةُ التجاني؟ وتجعلهم ممّن سبق في علم الله تعالى أن يكون سعيدًا؟!!

الفصل الخامس: الأدعية والأذكار عند التجانيين

للتجانيين مجموعةٌ كبيرةٌ من الأوراد والأذكار، منها ما هو لازمٌ في الطريقة، ومنها ما هو غير لازمٍ، فمن الأوراد اللازمة:

– الورد: ويقرأ صبحًا ومساءً وهو:

١– أستغفر الله (مائة مرّةٍ)

٢– الصلاة على النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بأيِّ صيغةٍ (مائة مرّةٍ)

٣– الكلمة المشرّفة: لا إله إلاّ الله (مائة مرّةٍ)، ولا بدّ من الترتيب في الأوراد[٦١]

– الوظيفة: وتُقْرَأ في اليوم مرّةً إمّا صباحًا ،وإمّا مساءً، فإن قُرئت في الوقتين كان أفضل، وهي:

١– أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحيُّ القيُّوم. (ثلاثين مرّةً).

٢- ثمّ صلاة «الفاتح لِما أُغلق». (خمسين مرّةً).

٣- ثمّ لا إله إلا الله. (مائة مرّةٍ).

٤- ثمّ «جوهرة الكمال» (اثني عشرة مرّةً)، وصيغتها: «اللهمّ صلِّ وسلّم على عين الرحمة الربّانية والياقوتة المتحقّقة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان المتكوّنة، الآدميّ صاحب الخلق الراني، البرق الأسطع بمزون الأرياح المائلة لكلّ متعرّضٍ من البحور والأواني، ونورك اللامع الذي ملأتَ به كونك الحائط بأمكنة المكاني، اللهمّ صلِّ وسلّم على عين الحقّ التي تتجلّى منها عروش الحقائق، عين المعارف الأقوم صراطك التامّ الأسقم، اللهمّ صلِّ على طلعة الحقّ بالحقّ الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله صلاةً تعرّفنا بها إيّاه» ومن شروط قراءة «جوهرة الكمال» عندهم:

- أنها لا تُقرأ إلاّ بالطهارة المائية دون الترابية، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والخلفاء الأربعة -على زعمهم- يحضرون عند قراءة السابعة منها. وينوب عن «جوهرة الكمال» عشرون من صلاة «الفاتح لِما أُغلق» لغير المتوضّئ.

- وجود الفراش الطاهر الذي يَسَعُ ستّةَ أشخاصٍ، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يحضر والخلفاء الأربعة[٦٢]

شبهتهم في الإلزام بأذكارهم:

الأولى: قال محمّد الحافظ التجاني: «أذكار أهل الطريق مرجعها الكتاب والسنّة، هل «لا إله إلاّ الله» والاستغفار والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يشرعها الله ولا رسوله ولا أصل لها في شرع الله؟ وأيًّا كانت الصفة أو الهيئة التي يذكر بها الشخص، والله تعالى يقول: ﴿فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ أي: اذكروا اللهَ على سائر أحيانكم، وفي الحديث: «أنه صلّى الله عليه وسلّم كان يذكر الله على كلِّ أحيانه»»[٦٣].

الثانية: استدلُّوا على تحديد الأوقات المخصوصة والعدد المخصوص بما ثبت عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنه قال: «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلّ»(٦٤) قال محمّد الحافظ: «فالمداومة على طاعة محدودة هو السنّة الصحيحة التي لا مطعن فيها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وللناس أن يختاروا ما يختارون من العبادة يداومون عليه»(٦٥).

الجواب:

إنّ الإنكار على التجانيين فيما التزموه من الأذكار والأدعية ليس منصبًّا على الاستغفار وذكر الله والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم في ذاتها إذا لم تحتوِ على ألفاظٍ ممنوعة شرعًا، وإنما يتوجّه الإنكار على الهيئات والصفات والشروط التي يشترطها القوم والإلزام بها، وهذا النوع من البدع يصطلح عليه العلماء اسم: البدعة الإضافية، وأحسن من تناولها بالتأصيل والشرح أبو إسحاق الشاطبيُّ –رحمه الله– إذ يقول: «وأمّا البدعة الإضافية فهي التي لها شائبتان: إحداهما لها من الأدلة متعلّقٌ فلا تكون من تلك الجهة بدعةً، والأخرى ليس لها متعلّقٌ إلاّ مثل ما للبدعة الحقيقية، فلمّا كان العمل الذي له شائبتان لم يتخلّص لأحد الطرفين وضعنا له هذه التسمية وهي «البدعة الإضافية» أي: أنها بالنسبة إلى إحدى الجهتين سنّةٌ لأنها مستندةٌ إلى دليلٍ وبالنسبة إلى الجهة الأخرى بدعةٌ لأنها مستندةٌ إلى شبهةٍ لا إلى دليلٍ أو غيرُ مستندةٍ إلى شيءٍ، والفرق بينهما من جهة المعنى أنّ الدليل عليها من جهة الأصل قائمٌ ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها مع أنها محتاجةٌ إليه، لأنّ الغالب وقوعها في التعبُّديّات لا في العاديّات المحضة»(٦٦).

فما له أصلٌ شرعيٌّ من أذكار التجانيين هو من هذا القبيل، إذ أصل الذكر مشروعٌ في الإسلام، والكيفية التي يلتزمونها لا أصل لها شرعًا، فهي بهذا الاعتبار بدعةٌ محرّمةٌ.

قال الشيخ علي محفوظ: «وإنّ صاحب البدعة الإضافية يتقرّب إلى الله تعالى بمشروعٍ وغير مشروعٍ، والتقرُّب يجب أن يكون بمحض المشروع، فكما يجب أن يكون العمل مشروعًا باعتبار ذاته يجب أن يكون مشروعًا باعتبار كيفيته»[٦٧].

والمنقول عن الصحابة إنكار الهيئات المبتدعة في الأذكار فقد ثبت عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه خرج على حلقاتٍ في المسجد وفيهم رجلٌ يقول: كبّروا الله مائةً، فيكبّرون، وسبّحوا الله مائةً فيسبّحون، فقال ابن مسعود: «فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تُبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابَ ضَلالَةٍ. قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الخَيْرَ. قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ»[٦٨]. فأنكر –رضي الله عنه– عليهم هذه البدعة وهي الذكر الجماعي بصوتٍ واحدٍ، وإن كان استغفارُهم وتسبيحُهم من حيث أصله مشروعًا. ومن هذا القبيل ما يفعله التجانيون في أذكارهم.

وأمّا استدلالهم بحديث «أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ» ففي غير محلّه، ذلك أنّ المداومة على نافلةٍ محدَّدةٍ من أحبِّ الأعمال، وهذا لا منازِعَ فيه، وإنما البحث في اتّخاذها شعارًا لطائفةٍ معيَّنةٍ بصفةٍ وشروطٍ مخصوصةٍ خارجةٍ عن الشريعة الإسلامية ككونها لا تُقرأ إلاّ بطهارةٍ مائيةٍ أو بإذن الشيخ، تستقلُّ بها عن سائر المسلمين، وهذا يعني تسلسل الإذن حتى يصل إلى أحمد التجاني الذي تلقّاه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مشافهةً –كما يزعم– فهي بهذا تتّخذ صفة التشريع، والعبادات مبناها على التوقيف.

وإذا سئل التجانيون عن دليل تخصيصهم لأذكارهم وأوقاتها وهيئاتها فلا يجدون إلاّ جوابَ التجاني لّما سئل عن اختصاص «جوهرة الكمال» بالطهارة المائية دون الترابية قال: «..لو كان للعقل مجالٌ في ذلك وأمكن القياس على ما هنالك لقيل: إنّ الهيللة

يوم الجمعة كان النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم يحضرها، كذلك فهي أيضًا لا تُقرأ إلاّ بالطهارة المائية دون الترابية، كالجوهرة، لأنّ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم يحضرها، لكن ما لنا إلاّ اتّباع أحمد، يَسَعُنا ما يَسَعُه، وما أمرنا به نتّبعه، وغيره لا نبتدعه، وافعل ما أُمِرْتَ به تعبُّدًا معتقِدا لا منتقِدًا وإيّاك و«لِم» فتقع في الردى»[٦٩]

فيُفهم من جوابه أنّ أذكارهم وشروطها توقيفيةٌ، والحقُّ خلاف ذلك فإنّ أكثر أوراد التجانية وما تعلّق بها مخترَعٌ مبتدَعٌ، فمِن أين لهم أنّ «جوهرة الكمال» لا تُقرأ إلاّ بطهارةٍ مائيةٍ، وأنه لا بدّ من وجود فراشٍ عند قراءتها يتّسع لستّة أشخاصٍ؟ وأنّ سائر الأذكار والأوراد لا بدّ فيها من إذن الشيخ أو نائبه؟ ومِن أين لهم ترتيب العقوبة على المفرّط في أذكارهم كما جاء في «جواهر المعاني»[٧٠]: «ومن أخذ الورد ثمّ تركه تركًا كلّيًّا أو متهاونًا به حلّت به العقوبة ويأتيه الهلاك، وهذا إخبارٌ من سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم لشيخنا رضي الله عنه، ونصُّه صلّى الله عليه وسلّم: وكلُّ من أخذ عليك ذكرًا قُل له في وصيّتك له: ذِكرُنا هذا عظيمٌ وإيّاكم والتفريط فيه وإيّاكم وتركه، لأنّ الصلاة على النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم عظيمةٌ وهي باب الكمال وهي المدخل الأعظم، ومن تركها لا يجد بابًا من غيرها يدخل عليه»، وكلُّ هذه الأقوال لم يَسبقهم إليها أحدٌ وليس لها أصلٌ في شريعة الإسلام.

خلاصة عقائد التجانيين:

إنّ ما تقدّم عرضه من معتقدات التجانية قليلٌ من كثيرٍ من البدع المنكرة التي يتربّى عليها أتباع التجانيين ويعقدون عليها الولاء والبراء، ولا يحتاج البصير إلى كبير علمٍ ليدرك أنّ من يعتقد عقيدتهم على خطرٍ عظيمٍ، ومهوًى سحيقٍ، ويمكن تلخيص مباني عقائدهم في النقاط التالية:

١- الخرافات والادّعاءات العارية عن الدليل كقول التجاني «إنّ الفيوض التي تفيض من ذات سيّد الوجود صلّى الله عليه وسلّم تتلقّاها ذوات الأنبياء، وكلُّ ما فاض وبرز

من ذوات الأنبياء تتلقّاه ذاتي، ومنّي يتفرّق على جميع الخلائق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور... وقال: لا يتلقّى وليٌّ فيضًا من الله تعالى إلاّ بوساطته رضي الله عنه من حيث لا يشعر به، ومددُه الخاصُّ به إنما يتلقّاه من النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم»[٧١].

٢- الغُلُوُّ الفظيع في زعيم الطريقة إلى حدِّ إضفاء خصائص الربوبية عليه كادِّعائهم معرفتَه الغيبَ[٧٢].

٣- القولُ على الله بلا علم، كادِّعائهم ضمانَ الجنّة لأتباعهم بغير حسابٍ ولا عقابٍ، ولو عملوا من الذنوب والمعاصي ما عملوا. وكقول التجاني نفسه: «يوضع لي منبرٌ من نورٍ يوم القيامة، وينادي مناديٌ حتى يسمعه كلُّ من في الموقف: يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كنتم تستمدُّون منه من غير شعوركم»[٧٣]

٤- سوء الأدب مع الله فضلاً عن الأنبياء والأولياء، ومثاله قول التجاني: «قدماي على رقبة كلِّ وليٍّ، فلمّا قيل له: إنّ عبد القادر الجيلاني قال -فيما زعموا-: قدمي على رقبة كلِّ وليٍّ، قال: صدق ولكن في عصره أمّا أنا فقدماي على رقبة كلِّ وليٍّ من آدم إلى النفخ في الصور، فلمّا قيل له: أليس الله قادرًا على أن يُوجِد بعدك وليًّا فوق ذلك؟ قال: بلى، ولكن لا يفعل، كما أنه قادرٌ على أن يوجِد نبيًّا بعد محمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم، ولكنّه لا يفعل»[٧٤]

٥- الكذبُ على النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهو في مذهبهم كثيرٌ، ومنه قول التجاني: «نهاني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن التوجُّه بالأسماء الحسنى، وأمرني بالتوجُّه بصلاة الفاتح»[٧٥]، وهل يعتقد عاقلٌ سَلِم قلبه من الخرافات أن ينهى النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم عن شيءٍ أُمر بتبليغه كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف : ١٨٠]

٦- اعتقادهم بأنّ للتجانيين خصوصياتٍ ترفعهم عن مقام الناس يوم القيامة ومن ذلك: تخفيف سكرات الموت عنهم، وأنّ الله يُظلّهم في ظلِّ عرشه، وأنّ لهم برزخًا

يستظلُّون به وحدهم، وأنهم يكونون مع الآمنين عند باب الجنّة حتى يدخلوها في الزمرة الأولى مع المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم وأصحابه المقرّبين[٧٦].

٧- تعاوُن التجانيين مع أعداء الأمّة والإسلام من جيوش الاستعمار، يتجسّسون لهم ويقاتلون إلى جانبهم، ويعدُّون ذلك شرفًا ويحتسبون الأجر عند الله تعالى، قال الشيخ محمّد الكبير صاحب «السجّادة التجانية الكبرى» وخليفة أحمد التجاني الأكبر في خطبةٍ ألقاها أمام رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في مدينة «عين ماضي» بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٣٥٠هـ: «إنّ الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا فرنسا ماديًّا ومعنويًّا وسياسيًّا، ولهذا فإنّي أقول لا على سبيل المنِّ والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والشرف بالقيام بالواجب: إنّ أجدادي قد أحسنوا صنعًا في انضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل إلى بلادنا وقبل أن تحتلّ جيوشها الكرام ديارنا»[٧٧].

فهذه هي أهمُّ آثار التجانيين السيِّئة التي ورثها بعض أجيال هذه الأمّة ساعدت على انتشار الوثنية والشرك المتمثِّل في بناء القباب وتشييد الأضرحة وصرف العبادات من نذرٍ ودعاءٍ واستغاثة لأصحابها المدفونين، وتعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، كما ساعدت على انتشار مختلف البدع والحوادث من الموالد البدعية وما يحدث فيها وفي غيرها من الخرافات والمنكرات، وانتشار الأذكار والأدعية والصلوات المحدثة التي كانت سببًا رئيسًا في إعراض الناس عن تلاوة القرآن وذكر الله بالطرق الصحيحة وفي التقاعس عن أداء العبادات والتهاون فيها اتّكالاً على الأجر الوفير الذي يحصل بأقلِّ عملٍ مداوَمٍ عليه على ما قرَّره أصحاب هذه الطريقة المثخنة بالخرافات والبدع.

هذا، وإنّ الولاية لا تُنال بمثل هذه المخالفات والطامّات، وإن ظهرت على يد من ادَّعاها خوارق وعجائب، قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: «قلت للشافعيّ: إنّ صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغترُّوا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنّة؟ فقال الشافعيُّ: قصَّر الليث -رحمه الله- بل إذا رأيتم

الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغترُّوا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب»[٧٨].

وإنما تُنال الولاية باتّباع شرع الله تعالى اعتقادًا وقولاً وعملاً، قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] وقال أيضًا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، ولا تعني الولاية أن يجعل من نالها في مرتبة النبيِّ المرسَل الذي يصدق فيما أخبر ويطاع فيما أمر، قال ابن تيمية –رحمه الله–: « وكثيرٌ من الناس يغلط في هذا الموضع، فيظنُّ في شخصٍ أنه وليٌّ لله، ويظنُّ أنّ وليّ الله يُقْبَل منه كلُّ ما يقوله، ويُسَلّم إليه كلُّ ما يقوله ويُسَلّم إليه كلُّ ما يفعله وإن خالف الكتاب والسنّة، فيوافق ذلك الشخص له، ويخالف ما بعث الله به رسوله الذي فرض الله على جميع الخلق تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، وجعله الفارق بين أوليائه وأعدائه، وبين أهل الجنّة وأهل النار، وبين السعداء والأشقياء، فمن اتّبعه كان من أولياء الله المتّقين وجنده المفلحين وعباده الصالحين، ومن لم يتّبعه كان من أعداء الله الخاسرين المجرمين، فتجرُّه مخالفة الرسول وموافقة ذلك الشخص أوّلاً إلى البدعة والضلال، وآخرًا إلى الكفر والنفاق، ويكون له نصيبٌ من قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧–٢٩] وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ. وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ. رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ [الأحزاب: ٦٦–٦٨]»[٧٩].

ولا يَسَعُنا أخيرًا إلاّ أن نذكّر أنفسَنا وإخواننا القرّاء أنه لا نجاة للأمّة إلاّ بالاعتصام بالكتاب والسنّة على فهم القرون المفضّلة المزكّاة في عقيدتها وسلوكها، ذلك هو الكفيل بتوحيد الأمّة ورفع الخلاف والشقاق بينها. قال عبد الحميد بن باديس –رحمه الله– «ولا يقف بالجميع عند حدٍّ واحدٍ إلاّ دليلٌ واحدٌ، وهو التزام الصحيح الصريح

ممّا كان عليه النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وكان عليه أصحابه، فكلُّ قولٍ يُراد به إثبات معنًى دينيٍّ لم نجده في كلام أهل ذلك العصر نكون في سَعَةٍ من ردّه وطرحه وإماتته وإعدامه كما وَسِعَهم عدمُه، ولا وسّع الله على من لم يَسَعْه ما وَسِعَهم، وكذلك كلُّ عقيدةٍ، فلا نقول في ديننا إلاّ ما قالوا، ولا نعتقد فيه إلاّ ما اعتقدوا، ولا نعمل فيه إلاّ ما عملوا، ونسكت عمّا سكتوا فيه... ونرى كلّ فتنةٍ كانت بين الفرق الإسلامية ناشئةً عن مخالفة هذا الأصل»[٨٠].

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يريَنا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتّباعه ويريَنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

الجزائر في: ١٨ جمادى الثانية ١٤٣٢هـ

الموافق ل: ٢١ مـــــايـــــو ٢٠١١م

- عاين الجزء الأول -

---

(١) (١/ ١٢٩).

(٢) (١/ ١٩٩).

(٣) (٧٩-٨٠).

(٤) (١/ ٤٧).

(٥) أخرجه البخاري في «التعبير» (٣/ ٤٤٩) باب من رأى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم في المنام، ومسلم (٢/ ١٠٧٧) في «الرؤيا» رقم (٢٢٦٦).

(٦) انظر: «رماح حزب الرحيم» لعمر بن سعيد الفوتي الطوري (١/ ٢٠٥).

(٧) أخرجه مسلم في «الرؤيا» رقم (٢٢٦٦).

(٨) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٢/ ٤٦٦).

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) المصدر نفسه.

(١١) «المفهم لِما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٦/ ٢٣).

(١٢) «رماح الحزب الرحيم» لعمر بن سعيد الفوتي الطوري (١/ ١٩٩)، «الجيش الكفيل بأخذ الثأر» (٦٤، ٦٥).

(١٣) «بغية المستفيد» (٧٩).

(١٤) «جواهر المعاني» (١/ ٥٥).

(١٥) (١/ ١٠٤).

(١٦) «جواهر المعاني» (١/ ١٤٠).

(١٧) «الجيش الكفيل بأخذ الثأر» (١١٠).

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) «بغية المستفيد» لمحمَّد العربي السائح الشرقي (٦٦).

(٢٠) «السلسلة الصحيحة» للألباني (٦/ ٢/ ٨٦٥).

(٢١) انظر: «صحيح البخاري» (١٠٥) كتاب «العلم» باب لِيُبلِّغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ.

(٢٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٢٧٢).

(٢٣) «رماح حزب الرحيم في نحور حزب الرجيم» لعمر بن سعيد الفوتي الطوري الكدوي (١/ ٢٦٥).

(٢٤) هي كنية التجاني، وسمَّوه بذلك لكثرة ما يفيضه عليهم من الخير كما يزعمون.

(٢٥) «الدرَّة الخريدة» لمحمَّد فتحا بن عبد الواحد السوسي (٣/ ١٤٤).

(٢٦) «جواهر المعاني» (١/ ٢١٧).

(٣٧) أخرجه الترمذي في «الدعوات» باب (١١٩). وقال «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

(٣٨) «الدرِّة الخريدة» (٤/ ٨٠).

(٣٩) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٢).

(٣٠) «روح المعاني» للألوسي (٦/ ١٢٤).

(٣١) «قاعدةٌ جليلةٌ في التوسُّل والوسيلة» لابن تيمية (١٣٢)، وانظر: «السلسلة الضعيفة» للألباني (١/ ٧٦).

(٣٢) «جواهر المعاني» (٢/ ٢٣٣).

(٣٣) أخرجه البخاري في «العلم» (١/ ٢٦) باب من يُرِدِ الله به خيرًا يفقِّهْه في الدين، ومسلم في «الزكاة» (١/ ٤٥٩) رقم (١٠٣٧)، من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.

(٣٤) «جواهر المعاني» (٢/ ٢٧٩).

(٣٥) نقلاً من «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٤/ ٩٦).

(٣٦) «الدرِّة الخريدة» (٤/ ٢٠٣).

(٣٧) أخرجه مسلم في «الوصيَّة» (٢/ ٧٧٠)، رقم (١٦٣١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣٨) أخرجه البخاري في «الاستسقاء» باب سؤال الناس الإمامَ الاستسقاءَ إذا قحطوا (١/ ٢٤٢).

(٣٩) «جواهر المعاني» (١/ ١٣٠-١٣١).

(٤٠) «رماح حزب الرحيم» لعمر بن سعيد الفوتي الطوري (٢/ ١٤٣).

(٤١) أخرجه البخاري في «الطبِّ» (٣/ ١٥٦) باب من اكتوى أو كوى غيره وفضل من لم يكتوِ، ومسلم في «الإيمان» (١/ ١١٨) رقم (٢١٨)، من حديث عمران بن حصينٍ رضي الله عنهما.

(٤٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٨)، والترمذي في «صفة القيامة والرقائق والورع» (٢٤٣٧)، والحديث صحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٢١٢).

(٤٣) «الانتصار في ردِّ الإنكار على الطريق» (٢٢).

(٤٤) أخرجه البخاري في «الجهاد والسير» (٢/ ٣٨) باب درجات المجاهدين في سبيل الله، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤٥) «الانتصار في ردِّ الإنكار على الطريق» (٢٣).

(٤٦) أخرجه مسلم في «الصلاة» (١/ ٢٢٤) رقم (٤٨٩).

(٤٧) «فيض القدير» للمناوي (٤/ ٣٣٤).

(٤٨) أخرجه ابن حبَّان في «صحيحه» (٢/ ٥٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٢٤)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. والحديث صحَّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٦٢٢).

(٤٩) أخرجه البخاري في «الوصايا» (٢/ ٢٧) باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب.

(٥٠) كتاب «الشهادات» (١/ ٦٥٣) باب القرعة في المشكلات.

(٥١) «الدرِّة الخريدة» (٤/ ٢٦).

(٥٢) أخرجه مسلم في «الإمارة» (٢/ ٩١٩) رقم (١٩٠٥).

(٥٣) «جواهر المعاني» (٢/ ١٨٠).

(٥٤) «رماح الحزب الرحيم» لعمر بن سعيد الفوتي الطوري (١/ ١٨٢).

(٥٥) «بغية المستفيد» لمحمَّد العربي السائح الشرقي (٢١٧).

(٥٦) «الانتصاف في ردِّ الإنكار على الطريق» (٢٤).

(٥٧) «تهذيب التهذيب» لابن حجر (١٠/ ٣٣٣). والحديث ضعَّفه الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (٦٢٧٧).

(٥٨) «الدين الخالص» لصدِّيق حسن (٣/ ٥٢٠).

(٥٩) أخرجه البخاري في كتاب «الأنبياء» من صحيحه (٢/ ١٧٧) باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾.

(٦٠) أخرجه مسلم في «الإيمان» (١/ ٦٣) رقم (١١٤).

(٦١) «أحزاب وأوراد التجاني» (٨).

(٦٢) «أحزاب وأوراد التجاني» (٨)، «الدرّة الخريدة» (٣/ ١٩٩).

(٦٣) رسالة «علماء تزكية النفس» (٨-٩).

(٦٤) أخرجه البخاري في «الرقاق» باب القصد والمداومة على العمل (٦٠٩٩)، ومسلم في «صلاة المسافرين وقصرها» رقم (٧٨٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦٥) رسالة «علماء تزكية النفس».

(٦٦) «الاعتصام» (١/ ٢٨٦).

(٦٧) «الإبداع في مضارِّ الابتداع» (٣٢).

(٦٨) أخرجه الدارمي (١/ ٦٨)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (٢٩). وصحّحه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥/ ١١).

(٦٩) «الدرّة الخريدة» (٣/ ٢٠٠).

(٧٠) (١/ ١٢٣).

(٧١) «بغية المستفيد» لمحمّد العربي السائح الشرقي (٢٢٥):

(٧٢) يتوجّه التجانيين إلى أوليائهم بالدعاء والاستغاثة باعتقاد والنفع والضرر فيهم وهي نتيجةٌ حتميةٌ مبنيّةٌ على اعتقاد أنّ لأوليائهم خصائص الربوبية ويعلمون الغيب.

(٧٣) «الإفادة الأحمدية» (٧٤).

(٧٤) انظر: «الإفادة الأحمدية» (٦٢).

(٧٥) «الإفادة الأحمدية» (٥٧).

(٧٦) التجانية من «الموسوعة الميسرة» (١/ ٢٨٣).

(٧٧) «تاريخ المغرب في القرن العشرين» لروم لاندو (١٤٣) نقلاً عن «مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية» لإدريس محمود إدريس (٢/ ٩٠٩).

(٧٨) انظر: «الإبانة» لابن بطّة (٢/ ٥٣٤).

(٧٩) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (٧٤).

(٨٠) «مجلّة الشهاب» (٥/ ٥٧٠).